عين المدينة

مجلة نصف شهرية مستقلة / العدد 73 / 1 حزيران 2016

معركة الرقة

(ملف)

اللوحة للفنان أيمن ناصر 96-5

3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

الافتتاحية

#...._تحترق

لا تكاد أبصارنا تغضي منكسرةً عن مشاهد الجثث في مكانٍ ما من سورية حتى تطالعها صور جثثٍ أخرى، تنافس الأولى في البشاعة والشناعة والألم. ولا نكاد نطلق هاشتاغ استغاثة مدينةٍ حتى يعلو عويل شقيقةٍ لها تطالب بحقّها في هذا التضامن الكليل قليل الجدوى...

نجحت حملة التضامن مع حلب -إلى حين- فانتقلت الطعنات إلى إدلب وحمص وداريا، بل قل إنها لم تتوقف عنها أصلاً. وحين يهدأ طيران الأسد وحليفه الروسيّ، وتندحر قوّاته وحلفاؤها الإيرانيون ومشتقاتهم؛ تباغت داعش ريف حلب الشماليّ، أو تستعدّ القوّات الكردية وغطاؤها العربيّ القشريّ للهجوم على التنظيم في ريفها الشرقيّ. وحين تتقادم مشاهد الجثث من دير الزور قليلاً يتوعّد طرفا الإجرام، الإسلاميّ المزعوم والديمقراطيّ المزعوم، بعضهما بمذابح طازجةٍ في الرقة..

أما الناس فيحملون متاعهم القليل ويهرعون مسرعين من تيهٍ إلى آخر، بعد أن لم تعد المخيّمات تتسع لهم، رغم أنها لم تعد خارج دائرة القصف في الآونة الأخيرة.

وما العمل؟

لن يغرينا الإنشاء بالقول إن الشعب السوريّ عظيمٌ، فهو كغيره من شعوب الأرض، وقد أبدى من صروف النبل وعدم الاكتراث، والصمود والانتهازية، والصبر وضيق الصدر، ما هو طبيعيٌّ في حياة أيّ شعب يعيش محنةً عظمى كالتي نعيش. ولكننا نقول إنه يستحق الحياة بالتأكيد، وإن أطفاله يستحقّون الأمان والغذاء الجيد والمدارس والحدائق مثل كلّ أطفال الأرض. ونقول أيضاً إن جمهور الثورة الباقي في سورية، من مدنيين ومقاتلين، قد دفع أكثر من المطلوب بكثير، وإن التدخل لإنهاء معاناته هو واجبٌ مستحقٌّ على المجتمع الدوليّ منذ خمس سنواتٍ وأكثر، في مواجهة قوى الإجرام المنفلتة منذ الرصاصة وحتى الطائرة، مروراً بالكيماوي.

ستنتهي هذه المحنة يوماً ما، وربما سينظر إليها التاريخ السياسيّ المعاصر كإحدى صفحات عاره، ولكن كيف سيستطيع من تعرّضوا لكلّ هذا الألم أن يستعيدوا علاقتهم السوية بالعالم وأن يندرجوا في منظومة قيمه الأخلاقية والقانونية المفترضة؟

ويسألونك: من أين اندلعت داعش؟!

3 جولة في البوكمال

5-4 كيف تعيش العوائل الديريّة في ظلّ الحصار

8 مشاريع برنامج «تمكين» في دير حسّان

10 تنظيم الرياضة الحرّة وآفاقها

15-12 معركة الرقة (ملف)

16 من سير المبايعين في دير الزور

17 إما الحمم أو حميميم

19 لا تظلموا محمد علي البودي

جولةٌ في البوكمال
ثرثرة في الحارات الخلفية

علي خطاب

من صفحة تنسيقية الثورة السورية في البوكمال

تعيش مدينة البوكمال (129 كم شرق دير الزور) اليوم مخاضاتٍ عدّةً في ظلّ تنظيم الدولة الإسلامية، ليس أولها حسم أهاليها أمر انتمائهم إلى الجانب السوريّ من الحدود السورية العراقية التي يعيشون قربها، وليس آخرها انتظار ما سيفعله «جيش سوريا الجديد» المرابط في معبر التنف الحدوديّ (247 كم شرق دمشق، 236 جنوب غربي البوكمال).

لا يخفى على أحدٍ الهوى العراقيّ الذي حمله أهالي المدينة على مدى عقود، إضافةً إلى التداخل الاجتماعيّ الذي احتفظ به وعزّزه الكثيرون منهم. ورغم أن ذلك الهوى ما زال يملي عليهم خياراتهم على أكثر من مستوى (كنوع الطعام وبرامج التلفزيون والأغاني والمعارف الشعبية) إلا أنه تراجع عن كونه هاجساً يدفع إلى الولاءات السياسية. بل أكثر من ذلك يحاول هذا الهوى اليوم الفكاك من الحاضر العراقيّ الرديء المتمثل في سيطرة التنظيم، والتماهي مع ماضيه المتمثل في العهد الصداميّ الذي ما زال يراه جميلاً.

أكثر ما يظهر فصام الهوى هذا في حيّ طويبة الشعبي، حيث تعقد الجلسات العائلية أمام البيوت، وعلى هامش قوانين التنظيم، بشوارب الرجال الكثة وسجائرهم المشرعة، ووجوه النساء المطلة من الأبواب. على أن قادة التنظيم فطنوا إلى الحياة المنعزلة التي تعيشها المدينة بعيداً عنهم وما قد تشكله لمستقبل دولتهم، فراحوا يحاولون إبقاء زمام الأمور في أيديهم، رغم أنهم صاروا متأكدين من أن التنظيم لم يعد مرحباً به وسط ما كانوا يعتقدون أنه حاضنتهم الشعبية. ففي إحدى خطب الجمعة الأخيرة حذر خطباء من مغبة التعرّض للعراقيين الموجودين في المدينة على أكثر من مستوى، وبحسب ما نقل عن أحد الخطباء فإن «أي شخص يتشاجر مع عراقيّ، أو يسيء له بالكلام، أو يقول: إن العراقيين هم سبب غلاء الاسعار، أو إنهم سبب المشاكل؛ فستكون عقوبته 100 جلدةٍ في ساحة الفيحا». الأمر الذي يعبّر عن تبرّم السوريين بالعراقيين رغم أنهم زبائن مفضلون للتجار، كما يفصح عن عددهم الكبير في البوكمال لأسبابٍ متعددةٍ دفعتهم إلى القدوم من بلدهم برفقة العاملين في صفوف التنظيم، كالهرب من الحرب أو البحث عن فرصٍ للعمل في مدينةٍ مستقرةٍ نسبياً.

وما زالت عمليات مهاجمة الحواجز والانشقاق أو الفرار من صفوف التنظيم تجري في شوارع البوكمال. وكان أكبرها -كما ينقل البعض- عملية انشقاق منتصف الشهر الجاري، وقد فرض التنظيم بعدها حظراً للتجوال استمرّ لمدة أربع ساعاتٍ ونصف، استجلب خلالها أسلحةً ثقيلةً وقام بحملة دهم وتفتيش لمنازل المدنيين. وقد تركزت الحملة في حيّ طويبة، الذي يعتقد القادة المحليون للتنظيم أنه ملجأ الفارّين والمناوئين له؛ الاعتقاد الذي تعزز مع بيانات خزعل السرحان، قائد «جيش سوريا الجديد»، بعد سيطرة الأخير على معبر التنف الحدوديّ منذ شهرين، بدعم من طيران التحالف. وقد اعتقلت قوى التنظيم -بحسب إعلاميين محليين- ما يقارب الخمسمائة شابٍّ بدعوى البحث عن خلايا مرتبطةٍ بالسرحان الذي تبنى عملياتٍ ضد التنظيم قام بها مجهولون.

وبالتزامن مع حملات التفتيش والاعتقال بعد كلّ انشقاق أو هجوم على حاجز في البوكمال، يرسل التنظيم مفخخاته باتجاه التنف. وقد سقط العشرات من قوات «جيش سوريا الجديد» بين قتيلٍ وجريح في مفخخةٍ أرسلها التنظيم منتصف الشهر الجاري، كان أكثرهم من أبناء المدينة، على أن الأهالي لم يستطيعوا إقامة مراسم العزاء بأبنائهم خوفاً من انتقام التنظيم. وقد استُعمل السلاح الكيماويّ ضد جيش سوريا الجديد، بحسب ما أعلن الأخير؛ بينما استقبل الأهالي بترقب تسريباً منقولاً عن السرحان يقول فيه إن دخوله المدينة سيكون في رمضان بعد أيام، رغم أن الجميع بات يدرك تواضع عدد قواته، خاصّةً بعد المفخخة التي سقط فيها أربعون شخصاً بين قتيلٍ وجريح بحسب أحد الإعلاميين (يصل الرقم إلى خمسةٍ وستين قتيلاً بحسب أحد أقرباء القتلى في المدينة).

ينظر البعض إلى عمليات الفرار أو مهاجمة حواجز التنظيم في البوكمال على أنها فاتحة المصائب التي يتحمل نتائجها المدنيون بالدرجة الأولى، في حين تبقى قوات السرحان وغيره بعيدةً عن انعكاساتها، وينظر إليها البعض بحماس مصحوبٍ بإعجابٍ وثقةٍ بالسلاح الأمريكيّ. وبالتوازي مع ذلك بات أهالي البوكمال يدركون مدى أهمية مدينتهم للتنظيم، وما قد يحمله إغلاق الحدود في وجهه من إضعاف «دولته»، إن لم يكن سقوطها، بينما يبدو التحالف الدوليّ، وعلى رأسه أميركا، في سباقٍ غير معلنٍ مع التنظيم لانتزاع المدينة من قبضته؛ فهل سيكون للأهالي دورٌ في هذه العملية؟

كيف تعيش العوائل الديريّة في ظلّ الحصار

عدسة مراد ـ خاص عين المدينة
صورة حديثة من حيّ القصور

أحمد مهيدي

تحت الحصار الخانق الذي يفرضه تنظيم داعش على مناطق سيطرة النظام في دير الزور منذ 15 شهراً، ومع الأسعار الخيالية للمواد الغذائية المتوافرة في الأسواق؛ تعيش قرابة 17 ألف عائلة، بحسب أحد أعضاء منظمة الهلال الأحمر. ولكن كيف تتدبر هذه العوائل أمرها!

اعتادت أم محمد الاستيقاظ في الثالثة فجراً، لأن أيّ تأخير عن هذا الموعد قد يحرم عائلتها، المكوّنة من أربعة أفراد، من الخبز ليوم كامل، فداء السكريّ يمنع زوجها الستينيّ من القيام بهذه المهمة. «أقف لستّ ساعات في طابور من 800 شخص لأحصل على ستة رغفان أو ثمانية في أحسن الأحوال». تعود أم محمد في العاشرة لتعدّ الإفطار المكوّن من رغيفي خبز وشاي فقط، ثم تذهب إلى السوق لشراء البقدونس أو الجرجير «وجبة الغداء الوحيدة». تخرج مجدّداً إلى أحد محال شحن الكهرباء، حاملةً بطاريةً صغيرةً تستخدمها في إنارة منزلها وموبايل، ثم تكمل طريقها لشراء كيلو حطب. تعود مساءً بعد أن أنفقت 850 ليرةً سوريةً. تنام العائلة دون عشاء لأن 30 ألف ليرة، مرتب زوجها، وهي دخل العائلة الوحيد «بالكاد تكفي ليعيش أربعة أشخاص في هذا الحصار».

يعتمد الأهالي في الحصار على رواتب الوظائف الحكومية وعلى الحوالات المالية التي ترد من أقربائهم. سامر معلم مدرسة ينفق مرتبه، البالغ 34 ألفاً، في الأسبوع الأول من الشهر، ويعتمد على الحوالة التي ترسلها أخته من دمشق لسدّ باقي احتياجات عائلته المكوّنة من ستة أفراد. يقول: «في الأسبوع الأول من الشهر يرفع التجار أسعار المواد الغذائية إلى الضعف، ثم يخفضونها في منتصف الشهر، ويخلو السوق تقريباً في الأسبوع الأخير». يحتاج سامر إلى نصف مرتبه لشراء ما يكفيه من الحطب ولشحن بطارية المنزل وهواتف عائلته، بينما ينفق النصف الآخر لشراء الخبز وثلاثة ألواح من الصابون ونصف كيلو من مسحوق الغسيل ومثله من سائل الجلي.

الشاي المكرّر وروح السكّر

يبلغ سعر كيلو الشاي (25–27) ألف ليرة، لكن 100 غرام كانت تكفي عائلة مراد، الخارج حديثاً من الحصار، لمدّة شهر كامل: «بعد الانتهاء من شرب الشاي ننشر ورقه تحت أشعة الشمس ثم نعيد استخدامها في اليوم التالي، وبعدها ننشر ورقه مجدّداً لنستخدمها مرّةً ثالثة. هذه حالةٌ عامةٌ لدى الأهالي في الحصار». تدفع عائلة مراد، المكوّنة من ستة أشخاص، 5 آلاف ليرة لشراء كيلو من السكّر لكنها لا تستخدمه في تحلية الشاي، فمراد وأخواه في حاجة إلى كمياتٍ من الطاقة تعينهم على نقل المياه من خزانات الهلال في القصور إلى منزلهم في الطابق الخامس، بسبب انقطاع المياه المستمرّ. أما لتحلية الشاي فتستعمل العائلة معلقةً واحدةً من روح السكر للإبريق. وروح السكر مادةٌ كيميائيةٌ لها قدرةٌ عاليةٌ على التحلية تستخدمها معامل المشروبات الغازية وتباع في أسواق الحصار. يسبّب الاستهلاك المستمرّ لهذه المادة سرطاناتٍ وهشاشةً في العظام -بحسب أطباء مختصّين- لكن مراد لا يكترث: «خطر الإصابة بالسرطان ليس أسوأ من العيش في الحصار!».

الحشائش وجبة الغداء الرئيسية

يزرع الأهالي البقدونس والجرجير والخس والبقلة وبعض الخضروات في المناطق الزراعية الموجودة في أطراف الأحياء المحاصرة، وتباع بأسعارٍ ملائمةٍ ولذلك تعتمد أغلب العوائل عليها لوجبة الغداء. «أشعر أني خروفٌ بسبب أكل البقدونس والخس والجرجير كلّ يوم»، يقول عامر مازحاً. عائلته، المكوّنة من سبعة أشخاص، لا تملك دخلاً، ولذلك يقف مع أبيه وأخويه على طابور الفرن لأكثر من 14 ساعةٍ يومياً يبيعون فيها ما اشتروه من الخبز بسعرٍ مضاعفٍ خارج الطابور. تجني العائلة (600–800) ليرةٍ يومياً، لا تكفي لتناول أكثر من وجبةٍ واحدة.

رهن المنازل وبيع الأدوات الكهربائية

يقوم بعض التجار خارج دير الزور بتشغيل أشخاص في الأحياء المحاصرة لشراء الأدوات المنزلية بأسعارٍ بخسة، إذ يباع البراد أو الغسالة أو الفرن بمبلغ 3 آلاف ليرةٍ كحدٍّ أقصى. حسام، الذي يعيش مع عائلته في حيّ الجورة، باع أدوات منزله بعشرة آلاف ليرة: «لا حاجة لها، فالكهرباء مقطوعةٌ منذ بداية الحصار». يوافق على أن المبلغ قليلٌ لكنه يقول إنه يبقى أفضل من رهن بيته مقابل أربعة أكياس من السكر، وزن الواحد منها 50 كغ، كما فعل أحد أصدقائه في حيّ الوادي.

جدول بأسعار بعض المواد (*بالليرة السورية*)

المادة	السعر
سكر (كيلو)	5000
ورق شاي (كيلو)	25000
حطب (كيلو)	300
بقدونس، جرجير (ربطة)	300-250
روح السكر (100 غ)	1000
صابون (لوح واحد)	1500
مسحوق غسيل (كيلو)	5000
سائل جلي (كيلو)	3000
شحن بطارية صغيرة (ساعة)	100
شحن بطارية وسط (ساعة)	200
شحن بطارية كبيرة (ساعة)	300
شحن موبايل (ساعة)	50

أزمة المياه في الأحياء المحاصرة

محمد العمر

توفي شابٌّ في التاسعة والعشرين من عمره إثر إصابته بجرثومةٍ في المعدة رجّح الأطباء أنها بسبب شربه من مياه نهر الفرات دون تعقيمها. حدث ذلك منذ عدّة أيام في الأحياء المحاصرة من مدينة دير الزور، بعد توقف محطة ضخّ المياه الوحيدة عن العمل بسبب نفاد الوقود اللازم لتشغيلها.

عند ضفة النهر تجتمع حشودٌ من الأهالي يومياً لتقوم بتعبئة مياه النهر في بيدوناتٍ وبراميل وكلّ ما اتفق لهم من أوانٍ، بعد أن عجزت مؤسّسة المياه عن تشغيل محطة التصفية، وكذا الهلال الأحمر عن تأمين مياهٍ بالصهاريج، معللين ذلك بالخوف من قناصة تنظيم داعش على الطرف المقابل من النهر، الذين يستهدفون أيّ سيارةٍ تقترب منه.

«ما استجدّ شي، بس زيادة تعب وبهدلة ومرض»، يقول عمر، أحد سكان حيّ القصور ساخراً، ويضيف: «نطلع يومياً، أنا وعيلتي، نمشي 3 كم لحتى نعبّي ثلاثة بدونات وقنينتين، يعني 62 لتر مي». ويعدّ الحصول على المياه في المناطق المحاصرة أمراً في غاية الصعوبة، فعلى مدى 15 شهراً -أي منذ بداية الحصار- انخفضت كميات المياه التي تضخّ للأهالي تدريجياً بسبب قلة الوقود المخصّص لمحطة الإذاعة الرئيسية والمحطة الثالثة قرب فندق فرات الشام. وبعد سيطرة تنظيم داعش على منطقة الإذاعة، مطلع العام الحاليّ، اقتصر الضخّ على المحطة الثالثة التي تعمل بطاقة 30% بسبب قلة الوقود، ما جعل المياه تصل إلى الأحياء لأربع ساعاتٍ فقط كلّ خمسة أيام، وتحديداً إلى الطوابق السفلية.

الآبار كحلٌّ ولكن!

مؤخراً، وقعت منظمة اليونيسف عقداً مع أحد المتعهدين المعروفين بعملهم لصالح اللواء محمد خضور، قائد عمليات المنطقة الشرقية، لتجهيز بئرين يعملان على الطاقة الشمسية، بتكلفةٍ ماليةٍ ضخمة. ويحتاج هذا التجهيز إلى نقل قطع وموادّ من دمشق جوّاً. وبحسب أحد أعضاء الهلال الأحمر أثار هذا العقد حفيظة ضباطٍ في الأمن العسكريّ بدأوا بعرقلة توريد القطع بالطيران لأنهم لم يستفيدوا كما استفاد خضور الذي يسيّر أمور المتعهد بالسفر بالمروحية متى شاء. علمت اليونيسف بهذه المشاكل وقررت التوقف عن تجهيز البئر الثاني، بعد أن كان المتعهد قد أنهى تجهيز الأوّل في منطقة طب الجورة بطاقة 3 م مكعب في الساعة.

مصائب قوم عند قوم فوائد

انتشرت في الآونة الأخيرة، لدى بعض من لا يملكون دخلاً يعينهم على تحمل أعباء الحصار، ظاهرة بيع الماء. إذ يقوم هؤلاء بتعبئة خزاناتٍ وبراميل محمولةٍ على عرباتٍ أو سياراتٍ من النهر، ثم يجرّونها إلى الأحياء ويبيعونها بألف ليرةٍ للبرميل. كما انتشر في الأسواق بيع عربات الأطفال، لتصل الواحدة منها إلى 30 ألف ليرة، لأنها تساعد على تخفيف أعباء نقل المياه.

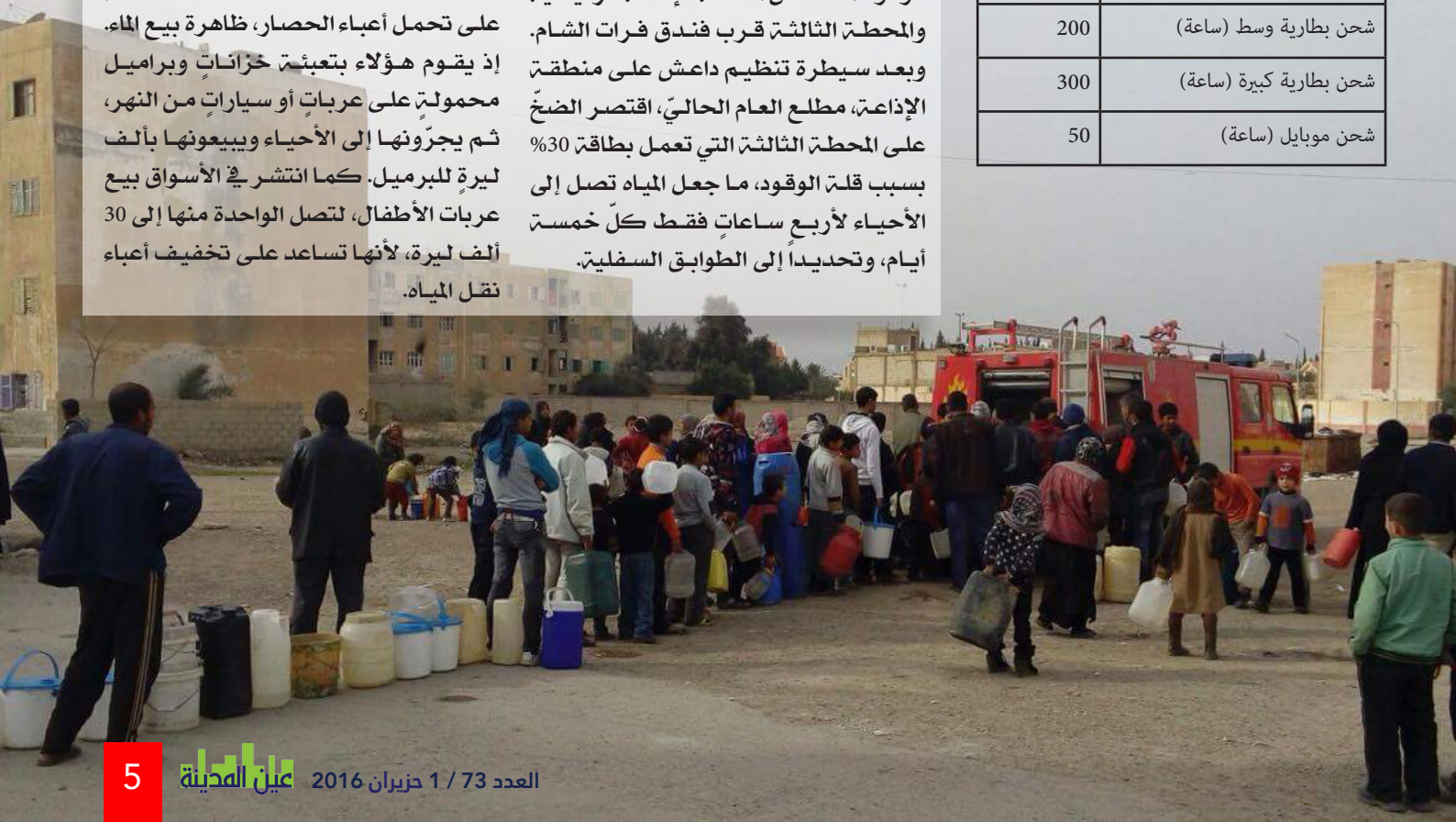

متحف معرّة النعمان:
قصفه الأسد بعد أن حوّله إلى مقرٍّ عسكريٍّ لقوّاته!

الجامع في باحة المتحف بعد قصفه
خاص عين المدينة

حليم كاوا

لم يكن مراد باشا الجلبي يعلم، عندما بنى عام 1595م خاناً سُمّي باسمه لاحقاً، أن هذا البناء الذي صمد منذ العهد العثمانيّ سيكون مصيره التدمير بطيران الأسد وحلفائه.

أدّى خان مراد باشا عدّة وظائف، فكان محطة استراحة وفندقاً وتكيةً لإطعام المسافرين وأبناء السبيل. كيف لا وهو يقع في مدينة معرّة النعمان في محافظة إدلب، على طريق قافلة الحجّ المتجهة من إسطنبول إلى الحرم المكيّ مروراً بدمشق التي يبعد عنها حوالي 280 كم، وعن مدينة حلب 80 كم.

ومنذ عام 1987 أصبح الخان متحفاً جُمعت فيه كل المكتشفات الأثرية التي عُثر عليها في المنطقة. وتُعرض فيه أيضاً 1600 م2 من الفسيفساء، بالإضافة إلى 400 م2 تم تخزينها في المستودعات، ليصبح أهمّ متحف فسيفساء في منطقة الشرق الأوسط والثاني عالمياً.

المتحف ثكنةٌ عسكريةٌ ومقرّ اعتقال

يشير قيس أبو النصر، وهو ناشطٌ إعلاميٌّ من مدينة معرّة النعمان، إلى أن النظام السوريّ حوّل المتحف، بين عامي 2011 و2012، إلى ثكنة عسكرية، فيقول: «اقتحم جيش النظام مدينة معرّة النعمان عام 2011 ليقمع مظاهراتها التي كانت سلمية تماماً، وأصبحت المنطقة الواقعة بين المتحف والسرايا مربعاً أمنياً يصعب اختراقه. ولم ينته الموضوع هنا، بل قام أيضاً بوضع قنّاص على سطح المتحف، رصد معظم الطرق الرئيسية ومنها سوق الخضار، وعمل على تقطيع أوصال المدينة وفرض حظر التجوّل ليلاً».

ويرى أبو النصر أن هذا القناص هو المسؤول الأول عن كل الشهداء المدنيين الذين قُتلوا في تلك الفترة. ويضيف: «لم يكتف النظام، بذلك بل أصبح المتحف مكاناً لاعتقال الأهالي واحتجازهم وتعذيبهم، نظراً لقرب الحواجز الأمنية منه».

وبعد حوالي العام تمكّن الثوار من تحرير هذا المربع الأمنّي. وبمجرد دخولهم المتحف فوجئوا -وهم أبناء المدينة- بأنّ معظم الخزائن التي كانت تحوي قطعاً ومكتشفاتٍ أثريةً خفيفة الوزن وصغيرة الحجم قد اختفت. وتضاربت الأنباء إن كان النظام قد نقلها إلى دمشق أو أن عناصره قاموا بسرقتها.

الأسد يقصف المتحف

بعد تحرير المتحف أصبح تحت حماية المجلس العسكريّ، ثم استلم حمايته لواء شهداء معرّة النعمان الذي غيّر اسمه ليصبح «جبهة أنصار الإسلام». كان وجود جهةٍ تحمي المتحف ضرورياً، منعاً لسرقته أو الاعتداء عليه والعبث بمحتوياته، وخصوصاً الصلبان التاريخية التي ما زالت موجودةً حتى هذه اللحظة.

يقول لنا أحد المقاتلين الذين التقيناهم في المتحف: «نحن بضعة عناصر من أبناء المنطقة، ومهمتنا هنا هي حراسة المتحف من أيّ اعتداءٍ أو محاولةٍ للسرقة. لم ولن نجعله مقرّاً عسكرياً كيلا نعطي مبرراً للنظام لقصفه. الحفاظ على المتحف وعلى التراث أولويةٌ بالنسبة إلينا، ولن نسمح لأحدٍ بإيذاء آثارنا وحضارتنا. وقد حافظنا على المتحف وقمنا بحمايته طيلة الأعوام السابقة من كلّ شيءٍ عدا قصف الطيران الأسديّ».

تعرّض المتحف للقصف عدّة مرّاتٍ، كان آخرها منذ أيام حين استهدفته غارةٌ جويةٌ ألحقت أضراراً به وبعددٍ من المباني المجاورة. التقينا أبو محمد، وهو من أهالي المنطقة ويسكن في منزلٍ قريبٍ من المتحف، فقال لنا: «قام النظام باستهداف المتحف عدّة مرّاتٍ كان أشدّها قبل عامٍ في شهر حزيران 2015. أذكر أنّ الطيران المروحيّ قام وقتها بإلقاء براميلين متفجرين سقطا في باحة المتحف مما أدّى إلى أضرارٍ كبيرةٍ فيه، وخصوصاً في الجامع والمكتبة الواقعين في وسطه».

وقد أدانت إيرينا بوكوفا، المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، ما تعرّض له المتحف عام 2015 وقالت: «إنني أشعر بأسىً شديدٍ للخسائر التي لحقت بالمتحف». وناشدت بوكوفا كافة الأطراف باحترام وحماية التراث الثقافيّ في سورية، فقد ارتفعت مستويات التدمير ارتفاعاً كبيراً، على حدّ قولها.

لوحات الفسيفساء بخير! ما السبب؟!

بعد تعرّض المتحف للقصف أول مرّةٍ تضافرت الجهود بين المجموعة المسؤولة عن حمايته وبعض المختصّين وأهالي المدينة، فقاموا ببعض الإصلاحات والترميم، بالإضافة إلى تغطية لوحات الفسيفساء بالقماش، وتكديس أكياس الرمل بجانب اللوحات الجدارية وفوق اللوحات الأرضية، لتخفيف الضرر في حال تعرّض المتحف للقصف مجدداً، وهو ما حصل بالفعل! فرغم قصف المتحف مرّاتٍ عدّةً خلال هذه السنوات إلا أن أضرار لوحات الفسيفساء كانت جزئية.

ولكن أقساماً عديدةً من المتحف انهارت بفعل القصف، وهو الآن في خطرٍ كبير بسبب تصدّع أجزاءٍ عديدةٍ منه. وفي حال تعرّضه للقصف مجدداً فمن المؤكّد أنه سينهار بشكلٍ كبيرٍ جداً لتخسر سورية والعالم أجمع!

النظام السوريّ وروسيا يكذبان

يقول قيس أبو النصر: «تدّعي روسيا أنها لا تقصف إلا جبهة النصرة، ومع ذلك فقد تعرّضت معرّة النعمان لعدّة غاراتٍ جويةٍ كان المتحف أحد ضحاياها، رغم عدم وجود أيّ مقرٍّ عسكريٍّ للنصرة في المدينة».

والجدير بالذكر أن معرّة النعمان تشهد، منذ شهرين ونصف، احتجاجاتٍ شعبيةً يوميةً دون انقطاع، بدأت بعد اعتداء جبهة النصرة على مظاهراتٍ سلميةٍ مناهضةٍ للنظام، تلاه اعتداءٌ على مقرّات الفرقة 13 التابعة للجيش السوريّ الحرّ، نتج عنه استشهاد سبعة مقاتلين من الفرقة. كما قامت الجبهة أيضاً بالاستيلاء على معظم سلاح الفرقة 13 من ثقيلٍ ومتوسّطٍ وخفيف، بالإضافة إلى كمياتٍ من الذخائر. واعتقلت عشرات العناصر وبعض المتظاهرين وأفرجت عنهم في ما بعد تحت ضغط المظاهرات الشعبية التي هتفت ضد جبهة النصرة (فرع تنظيم القاعدة في بلاد الشام) ونادت بإسقاط أميرها الجولاني.

ويقصف قلعة سمعان

تقع قلعة سمعان على بعد 30 كم غرب مدينة حلب، بالقرب من ناحية دارة عزّة. وكانت بالأصل كنيسةً بُنيت عام 490م، قبل أن تصبح قلعةً شهدت العديد من الحروب. وعندما وصل الفتح الإسلاميّ إليها كان مصيرها كمصير الكنائس في حلب ودمشق والمنطقة ككلّ، فقد أظهر المسلمون سماحة دينهم وأبقوا عليها كما هي.

سُميت بقلعة سمعان نسبةً إلى سمعان العامودي، الذي ولد عام 389م وأمضى حياته في هذا الجبل يتعبّد على عمودٍ طوله 15 متر (ومن هنا جاءت تسميته) يمضي عليه أياماً طويلة ليلاً ونهاراً وهو صائم، ويُقال إنّه توفي على هذه الهيئة. وتُعدّ القلعة أحد أهم الروائع المعمارية في عهد الإمبراطور زينون، ومن أهم المعالم الأثرية المسيحية وأغناها في سورية. وأبرز من دُفن فيها سمعان العامودي وعمر بن عبد العزيز.

تعمّد النظام السوريّ قصف قلعة سمعان خلال سنوات الثورة. ففي بادئ الأمر تعرّضت للقصف المدفعيّ في شهري أيار وحزيران عام 2012، لتتعرّض للقصف الجويّ بالطيران الحربيّ لمرّاتٍ عديدةٍ تاليةٍ كان آخرها في نيسان الماضي (غارة جوية واحدة). أما في أيار المنصرم فشهدت قصفاً مكثفاً على مدى يومين متواصلين، وفي إحدى الغارات أطلقت طائرةٌ حربيةٌ أربعة صواريخ دفعةً واحدةً باتجاهها، حسب شهودٍ كانوا في المنطقة، ونتج عن ذلك دمارٌ كبيرٌ في أماكن عدّةٍ من القلعة.

التقينا زكريا، وهو طالبٌ جامعيٌّ مقيمٌ في إحدى القرى المجاورة، فحدثنا عن صدمته من صمت المجتمع الدوليّ إزاء قصف القلعة، وقال: «تعوّدنا أن يصمتوا عن الضحايا البشر، فقد أصبحنا مجرّد أرقام تزداد يوماً بعد يوم، ولكن ماذا عن الحجر؟ لقد رأينا كيف احتفل العالم بعد سيطرة النظام على تدمر، إلا أنه لم يقل شيئاً بعد قصفه قلعة سمعان الأثرية، فما هذا التناقض؟!».

وأنهى زكريا حديثه مستغرباً: «دعونا من السياسة، فهناك حساباتٌ وتوازناتٌ دوليةٌ كثيرة تحكمها. ولكن أين هي الجمعيات الدولية التي تُعنى بالاهتمام بالآثار؟ أي هي اليونيسكو؟!».

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يصدر أيّ بيانٍ من أيّ جهةٍ دوليةٍ يدين قصف النظام قلعة سمعان الأثرية، التي أدرجتها المديرة العامة لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) عام 2011 ضمن قائمة التراث العالميّ.

القابضون على الجمر
مشاريع برنامج «تمكين» في قرية دير حسّان

أبو محمد الإدلبي

لعله من الأمور الشائعة أن يكتب متابعو أمور المناطق المُحرّرة في سورية عن النقاط السلبية الكثيرة، بهدف أن يتمّ تجاوزها من قِبل المعنيين، وأن يتمّ فضح من وراءها، لأنّ غاية الإعلام الحرّ هي الدفاع عن شعب ضحّى وما زال يُضحّي -مرغماً أحياناً- بالكثير في سبيل حياةٍ أفضل، حياةٍ عادلةٍ وكريمة. لكنّ الواجب يقتضي أن نُبرز الإنجازات والتضحيات والعمل الجبار الذي يقوم به بعض الشباب الذين لم ينجرفوا مع التيار، وبقوا يعملون ويفكّرون ويتعبون ويكافحون ضد ذواتهم وضد الأفكار السلبية السائدة وضد كافة المعوّقات، من أجل بناء جدارٍ يستند إليه الفقراء والمساكين.

ومن أبرز الأعمال التي أُنجزت في هذا المجال مشاريع «برنامج تمكين» في المناطق المُحرّرة، وسيكون مثالنا هو ما أُنجِزَ في قرية «دير حسان» في شمال إدلب.

«تمكين» برنامجٌ تابعٌ لوزارة التنمية البريطانية، يعمل في المناطق المحرّرة من ريف دمشق، ودرعا، وحلب، وريف إدلب، منذ ثلاثة أعوام. يُقدّم البرنامج المال لإنجاز مشاريع يختارها المجتمع الأهليّ حسب احتياجاته ضمن ما يُسمّى «الإدارة الرشيدة». عنوان هذا البرنامج الشفافية والعلنية والمشاركة المجتمعية ضمن آلياتٍ وخطواتٍ عمليةٍ تمنع الفساد ولا تعطي مجالاً سوى للعمل النظيف وللمبادرات الخلاقة. يقود عمل هذا البرنامج شبابٌ سوريون مؤهلون تأهيلاً عالياً: علمياً وثقافياً وأخلاقياً. يُنفّذ البرنامجُ مشاريع في مجالات البُنى التحتية والصحة والتعليم وتحسين مستوى المعيشة عبر إنشاء أعمالٍ استثماريةٍ وتأهيل كوادر من خلال دوراتٍ تأهيلٍ للشباب المتطوّع الراغب في العمل.

طُرح اسم قرية دير حسان للدخول في البرنامج، الذي انتدب موظفاً لديه بمهمة «منسق ميدانيّ»، جاء إلى القرية واجتمع مع الوجوه المعروفة وطرح عليهم الفكرة وطلب منهم تشكيل لجنة تُدير العمل، وشدّد على أن تكون من الموثوق بهم. تكوّنت لجنةٌ من ستة أشخاص برئاسة طبيب الأسنان حسن منصور، المعروف على نطاقٍ واسعٍ والمحبوب من الجميع. يقول د. حسن: «عندما رأيت إخوةً من مناطق أخرى يعملون من أجل قريتنا لم أتردد لحظةً واحدة. كان عملي في عيادتي يستغرق مني وقتاً طويلاً وجهداً هائلاً، لكن القرية تستحق مني أن أضحي بما يتبقى لديّ من وقتٍ مُخصّص لعائلتي ولأصدقائي». ابتدأ العمل حسب ما هو مخطّطٌ له: اجتماعاتٌ عامةٌ مع الناس -جرت عادةً في المسجد- لطرح الفكرة واختيار المشاريع التي تحتاجها القرية. ثم جرى استبيانٌ خطيٌّ لحوالي 500 رجلٍ ومثله للنساء، وكانت هناك لجنةٌ نسائيةٌ تتواصل مع نساء القرية وتُشركهم مثلهم مثل الرجال، إلى أن تمّ اختيار المشاريع التي قدّمت للبرنامج للموافقة عليها والبدء في تنفيذها، وهذا ما كان.

يقول الأستاذ معتز قدور، المنسق الميدانيّ للبرنامج، وهو من قرية أطمة: «عندما جئت إلى دير حسان اعتمدت على بعض الأصدقاء في جمع الناس حول الفكرة، وفي تشكيل اللجنة، إلى أن انطلق العمل بسرعة. صادفتنا معوّقاتٌ كثيرة، لكننا تجاوزناها بهمةٍ عاليةٍ إلى أن تمّ إنجاز المشاريع». تم انتقاء أربعة مشاريع: إحصاءٌ طبيٌّ للأمراض الموجودة في القرية، وهو مشروعٌ مشتركٌ مع قرية (تل عادة)، وبناء مستوصفٍ للقرية، وكان هذا المشروع من اختيار اللجنة النسائية التي شاركت في الإشراف على بنائه وبناء منهل ماء، وهو ما سهّل تأمين الماء لجميع سكان القرية بأسعارٍ معقولةٍ جداً بدلاً من نقله من مناطق بعيدةٍ وبكلفةٍ زائدة. أما المشروع الرابع فكان تعبيد جزءٍ من طريق القرية الرئيسيّ.

يقول د. حسن: «نشعر بحلاوة الانتصار على واقعنا. كانت الصعوبات هائلة. نحن لجنةٌ تطوّعية، وهذا أمرٌ نادرٌ في مجتمعنا. كانت مشاركة المجتمع في قريتنا ضعيفةً وسلبية، يحضر ثلاثون رجلاً اجتماعاتنا العامة فيما سكان القرية حوالي 8000 نسمة. كنا نسمع السخرية والاستهزاء والتحدي. كانت اللامبالاة هي السمة العامة للسكان. ربما لم يكن عملنا مثالياً تماماً، فخبرتنا ضعيفةٌ ووقتنا ضيق، لكننا واصلنا الساعات الطوال في عملنا. انقطاع مادة المازوت وارتفاع سعرها، والطقس الشتوي وقسوته، عوامل لم تكن بلا تأثير. تُضاف إلى ذلك الوعود التي أخلّ بها بعض من تعاقدنا معهم... لكننا صبرنا وقطفنا الثمار. مبروك لأهل القرية».

كان المبلغ المُقدّم لإنجاز هذه المشاريع 40000 دولارٍ أمريكيّ. لكن البرنامج وافق على مرحلةٍ ثانيةٍ بمبلغٍ يقترب من 50000 دولار، وبدأت اللجنة عملها من جديدٍ بنشاطٍ أكبر وخبرةٍ أفضل وسرعةٍ جيدةٍ لتحقيق مشاريع المرحلة الثانية.

من صفحة تمكين ديرحسان وتلعادة على الفيسبوك

موسم حصاد القمح

ريف إدلب الجنوبي - خاص عين المدينة

مريم أحمد

مصاعب زراعيةٌ متنوّعة

عن أسعارٍ وأنواع السماد حدثنا عماد، أحد مزارعي ريف جسر الشغور، قائلاً: «اعتمد كثيرٌ من المزارعين على نوعين من السماد، وهما الآزوت 46 ونترات الصوديوم 33. وبلغ ثمن الكيس الواحد 7 آلاف ليرةٍ سورية بسبب ندرته، وهو يهرّب من مناطق النظام إلى الريف الشماليّ. أما المبيدات فنجد صعوبةً كبيرةً في إيجادها لأن المنطقة باتت تفتقر إلى الصيدليات الزراعية، ولذلك ندفع ثمن المبيدات مضاعفاً بسبب حاجتنا الملحة إليها. وهناك الكثير من المواد الفاسدة أو المزوّرة بسبب غياب الرقابة على هذه الأدوية وعلى المواد الزراعية».

ومن الصعوبات التي تزداد تفاقماً ندرة المياه وضعف الموارد الطبيعية بسبب توقف السدود وأقنية الريّ عن العمل، مما شكّل عقبةً كبيرةً أمام المزارع الذي كان يعتمد على مياه السدود في ريّ محصوله في سنوات ندرة الأمطار. كما كان لارتفاع أسعار الوقود اللازم لاستخراج المياه الجوفية دوره في تراجع جودة المحاصيل وأهمها القمح.

ومع اقتراب موعد الحصاد يعاني غالبية المزارعين لتأمين المواد الضرورية لمحصول القمح، وغلائها إن وجدت. فقد بلغ ثمن كيس الخيش الواحد 200 ليرة، مما يجبر المزارع على تجميع المحصول على الأرض ريثما يتم تأمين الأكياس. كما قلّ عدد الآليات الخاصة بجني المحصول (الحصادة) بسبب كثرة حواجز النظام، فلم يعد أصحاب تلك الآليات يجرؤون على العمل، مما يضطرّ المزارع إلى اللجوء إلى الطرق البدائية اليدوية المتعبة التي تزيد من تكاليف الحصاد.

يقول المزارع أبو صطوف، من الريف الغربيّ لإدلب: «في العام الماضي لم نستطع جني المحصول بآليات الحصاد (الحصادة) بسبب كثرة حواجز النظام التي باتت تستهدف تلك الآليات، أو تتقاضى مبالغ كبيرةً مقابل السماح لها بالعبور. وبعد تحرير المنطقة عادت بعض الآليات إلى العمل هذا العام، لكن إيجار حصاد الدونم الواحد صار يصل إلى 7 آلاف ليرة، بسبب ارتفاع ثمن الوقود وصعوبة تنقل هذه الآليات وجشع بعض مالكيها».

خطورة الحصاد

الحصاد من أخطر الأعمال التي يقوم بها الفلاح، فقد تعرّضت حقول قمح للحرق بالقذائف أو الذخائر المتفجّرة أثناء الحصاد، ما يشكّل خطورةً كبيرةً على الآليات وعلى الفلاحين. كما حصل العام الماضي عندما استهدف حاجزٌ للنظام، موجودٌ في قرية المغير في الريف الشماليّ لحماة، حقل قمح في بلدة كفرزيتا أثناء الحصاد بقذائف حارقة، ما تسبّب في حرق أكثر من 100 هكتار وإصابة أربعة عمال حصادٍ بحروقٍ خطيرة. كما استهدف طيران النظام بلدة السرمانية بعددٍ من الغارات الجوية أدّت إلى حرق أكثر من 150 هكتاراً من القمح، ناهيك عن حرق محاصيل أخرى في قرىً وبلداتٍ مجاورة. وفي العام الماضي تمّ حرق الكثير من المحاصيل بشكلٍ كامل، وبخاصّة في الأراضي المحيطة بحواجز النظام، عقوبةً للفلاحين أو بسبب رفضهم دفع الإتاوات لهذه الحواجز.

وفي الكثير من المناطق تأقلم الفلاحون مع الوضع قدر الإمكان، فقام بعضهم بتوزيع خزانات ماءٍ في مناطق متفرّقةٍ من الأرض لتكون جاهزةً في حال نشوب حريق، كما قام آخرون بتقسيم الحقل الواحد إلى عدّة قطع تفصل بينها مسافات، حتى لا تلتهم النيران مساحاتٍ كبيرةً منها عند الحريق.

بيع المحصول

سعّر النظام كيلو القمح بـ100 ليرةٍ (أي ما يعادل 14 سنتاً) في المناطق التي يسيطر عليها، وفرضت «قوات سورية الديمقراطية» التسعيرة نفسها في مناطق الحسكة. ولا يغطي هذا السعر مصاريف الإنتاج، وبالتالي سيتعرّض الكثير من الفلاحين لخسارةٍ كبيرة. أما في مناطق ريف إدلب وحماة وحلب فقد تم تحديد سعر كيلو القمح بـ150 ليرةً من قبل الهيئات التابعة للمعارضة المتمثلة في الائتلاف أو المنظمات العاملة في المجال الإنسانيّ، و140 ليرةً لكيلو الشعير.

وكان مزارعو ريف حماة قد باعوا أكثر من 450 ألف طنٍّ من القمح للنظام بأسعارٍ زهيدةٍ لا تتجاوز الـ40 ليرةً للكيلو في العام الماضي، لعدم وجود مؤسّساتٍ تتبع للمعارضة تستجرّ كامل الإنتاج، إذ كانت الكميات التي اشترتها مؤسّسات المعارضة قليلةً جداً. وفي هذا العام يتخوّف المزارعون من تكرار تجربة العام الفائت بعدم وجود منفذٍ لتصريف محصولهم إلا عبر مؤسّسات النظام الذي يعمل على بيع القمح السوريّ عالي الجودة للخارج واستيراد كمياتٍ من القمح ذات جودةٍ متدنيةٍ للتربّح بفارق الأسعار.

تنظيم الرياضة الحرّة وآفاقها

أحمد أبو زيد

انطلقت «الهيئة العامة للرياضة والشباب في سوريا» من حلب، في آب 2013، تحت اسم «الاتحاد الرياضي السوري الحر». واعتمد الاسم الحالي بعد اندماج رياضيّي المنطقة الشرقية من 3 محافظاتٍ مع رياضيّي حلب، في آذار 2014، في مدينة أورفا التركية

رأى الرياضيون المنحازون إلى الثورة أنه لا بدّ من إحداث كيانٍ رياضيٍّ يضمهم ويهيئ لهم المناخ المناسب لمواصلة نشاطاتهم، فأعلن عن تأسيس «الهيئة العامة للرياضة والشباب في سوريا» كمنظمةٍ مستقلةٍ تهتم بشؤون الرياضيين السوريين الأحرار. مقرّ الهيئة الأساسّي في حلب حتى الآن، وتشمل 6 لجانٍ تنفيذيةٍ داخل وخارج سوريا و10 اتحادات ألعابٍ جماعيةٍ وفرديةٍ وعدداً من المنتخبات الوطنية في عدّة ألعاب.

لجنةٌ تنفيذيةٌ لمحافظة حلب

أحدثت الهيئة لجنةً تنفيذيةً لحلب تضم 11 عضواً، مهمتها ترخيص الأندية وإعداد الكوادر الرياضية للمسابقات وتشكيل اللجان الفنية للألعاب. وبلغ عدد الأندية التي تقدمت بطلب الترخيص في حلب وريفها 12 نادياً، تتنافس ضمن دوري التصنيفات الذي انطلق قبل أيام على ملعب «هنانو» بالتعاون بين الاتحاد السوريّ الحرّ لكرة القدم وجمعية «فسحة أمل».

وعن نشاطات اللجنة التنفيذية لحلب يقول رئيس الهيئة العامة للرياضة والشباب، عروة قنواتي، في تصريح لـ«عين المدينة»: «تقوم اللجنة حالياً بزياراتٍ إلى الريفين الشماليّ والغربيّ لحلب لدعوة الأندية والرياضيين للعمل ضمن ملاك الهيئة. كما أنجزت اللجنة مهرجان الثورة الرياضيّ، خلال إحياء الذكرى السنوية الخامسة لانطلاقتها في آذار الماضي، وشمل عدداً من العروض والمسابقات الرياضية لعدّة فئاتٍ عمرية».

الطفل الرياضيّ السوريّ

وعن المصاريف التي تحتاج إليها اللجنة والجهة التي تغطيها قال رئيس الهيئة: «وقعت اللجنة عقداً لرعاية النشاطات الرياضية ومصاريف العمل مع مؤسّسة عبد القادر السنكري للأعمال الإنسانية في آذار الماضي، يستمرّ حتى نهاية عام 2016».

وتابع قنواتي: «هناك عددٌ من المشاريع التي أطلقتها الهيئة بالتعاون مع منظماتٍ داعمة، منها مشروع الطفل الرياضيّ السوريّ، الذي دخل مرحلته الثانية قبل شهر، وتم إطلاقه أواخر العام 2015 بالتعاون بين الاتحاد السوريّ لكرة القدم ومنظمة بيتنا سوريا».

وعن هذا المشروع تحدث قنواتي: «تمّ إحداث ثلاثة مراكز لتدريب كرة القدم ومركزٍ لفنون الدفاع عن النفس في ريف حلب. ويستوعب المشروع 200 طفلٍ من أبناء المحافظة، يشرف على تدريبهم وإعدادهم طاقمٌ من المدربين والإداريين. وتشمل المرحلة الجديدة من المشروع إحداث مركزين لكرة القدم وصالةٍ للألعاب ومركزٍ لفنون الدفاع عن النفس والجمباز في ريف حلب الشمالي».

ورداً على سؤال مراسل «عين المدينة» حول الصعوبات التي تواجهها الهيئة ولجنتها التنفيذية في حلب قال قنواتي: «تعاني رياضة المناطق المحرّرة في حلب من شحّ المنشآت والبنى التحتية في ما يخصّ الصالات والملاعب، الموجودة في مناطق سيطرة النظام. الأمر الذي يضطرّ الرياضيين في مناطق الثوار إلى الاعتماد على الملاعب الترابية أو الصغيرة المعشبة والصالات والأقبية الصغيرة».

نشاطاتٌ صيفيةٌ وجدولٌ طويل

وعن جدول أعمال اللجنة ونشاطاتها القادمة قال مسؤول مكتب الألعاب الفردية والعلاقات العامة في تنفيذية حلب، عبد القادر صلاح الدين، لـ«عين المدينة»: «اجتمعنا مع الأندية قبل أيام لاستكمال أوراق فرقهم الكروية وتسجيل اللاعبين. وتمّ تسليمهم نسخةً عن نظام الأندية في الهيئة وشرح عددٍ من فقرات النظام الداخليّ للهيئة داخل الاجتماع، تحضيراً للدوري العام المقرّر أن ينطلق بعد رمضان المقبل».

وأضاف صلاح الدين: «أما بالنسبة إلى ألعاب القوى فالتحضيرات، بالتنسيق مع الأندية في حلب والريف، جاريةٌ وبشكلٍ سريع. كما تعمل اللجان الفنية لألعاب القوى على تشكيل لجنةٍ لكلّ لعبةٍ حسب المتوافر في الأندية».

في حين أكد عضو المكتب التنفيذي في الهيئة ورئيس مكتب الألعاب الفردية، السيد أحمد شرم، أن جدولاً طويلاً من النشاطات ينتظر الأسرة الرياضية في حلب وأحيائها المحررة. وتشمل النشاطات تأهيل الأطفال وإعدادهم الإعداد السليم والصحيح في مراكز تدريبيةٍ لعدّة ألعاب لرفدهم مستقبلاً ضمن الأندية والمنتخبات الوطنية، والبطولات والمسابقات لفئة الشباب والرجال وإيجاد الأرضية المناسبة لاستيعاب طاقات الشباب وإعادتهم إلى الحياة الرياضية وإلى جوّ المنافسة. ولن يقتصر هذا الأمر على حلب وريفها فقط، بل سينفذ في عددٍ من المحافظات والمناطق عبر البطولات الكروية والفردية والمهرجانات الرياضية، كما يحدث حالياً في حيّ (الوعر) المحاصر بمدينة حمص.

فلا تظالموا

حوار مع د. وائل الشيخ أمين

محمد إقبال

أنا إنسان ما لي حيوان!

لعل هذه العبارة كانت ولا تزال إحدى أبرز الصرخات التي حفرت في ذاكرة السوريين وقلوبهم مطلع **2011** حينما انطلقت أولى هتافات الحرّية..

ولأن الحرية مطلبٌ أساسيٌّ للإنسان لا يتحقق إلا بالعدل وإنصاف المظلومين، انبرى عددٌ من المثقّفين والدّعاة السوريين إلى إطلاق حملة (فلا تظالموا) التي تهدف إلى ترسيخ مفهوم العدل وتعزيزه كقيمةٍ أساسية. وقد لاقت الحملةُ صدى واسعاً على مواقع التواصل الاجتماعيّ، ليتمّ التصويت عليها فتصبح شعار مظاهرات الجمعة 20 أيار الماضي.

وللوقوف أكثر على طبيعة الحملة وأهدافها نستضيف د. وائل الشيخ أمين، أحد أبرز داعمي (فلا تظالموا). وهو طبيب أسنانٍ سوريّ، ومدرِّبٌ مختصٌّ في فنون القيادة والتطوير والتغيير.

ما هي طبيعة الحملة وأسباب إطلاقها وأهدافها؟

لو استمعتَ إلى الحوارات الغالبة بين السوريين الأحرار اليوم لوجدتهم يشتكون القمع الوحشيّ للنظام، وتآمر قوى الشرق والغرب عليهم، فضلاً عن خذلان وتقصير من تُرتجى مساعدتهم! كلّ هذا صحيح، لكنه ليس السبب الأساسيّ في ما يجري لنا. يقول الله سبحانه في القرآن الكريم: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}. وقد تقول للوهلة الأولى: وماذا فعلنا حتى نستحق كل هذه المصائب؟ لكنك عندما تُدقّق النظر وترى المظالم المنتشرة بيننا في المناطق المحرّرة؛ تعلم ما كسبت أيدينا، وتعلم لماذا سلّط الله علينا قوى الشرّ والظلم في العالم، بل تقول: الحمد لله الذي عفا عن كثير!

أطلقنا الحملة لنُطالب أنفسنا أولاً -وكلّ السّوريين الأحرار- بالكفّ عن الشّكوى، والأخذ بزمام المبادرة إلى العمل بإحسان، ورفع الظلم بيننا، وإرساء العدل قيمةً أساسيّةً لا نحيدُ عنها.

من وراء الحملة؟ وما دورك فيها؟

لكلّ حملةٍ جهةٌ تقف وراءها بلا شكّ. ووراء (فلا تظالموا) تقف أنّات المستضعفين والمظلومين ودماء الشهداء التي صارت لدى البعض ماء! كذلك دفعَنا الوفاءُ للثورة التي أول ما خرجت ضدّ الظلم، فهل يعقل أن ترزح تحته اليوم؟

لست إلا أحد جنود وداعمي هذه الصّرخة، ومعظمهم من المثقّفين والكتّاب والدّعاة والناشطين المؤثّرين في الساحة السورية. ونتيجة اهتمامي بفنّ القيادة والتغيير جاء دعمي الكبير لها وتفاعلي معها، لأنني أؤمن بأن غَرْسَ القيم النّبيلة هو من أفضل طُرُق التغيير وأنجعها. ولعلّ مفهوم العدل أهمُّ قيمةٍ نحتاجُ إليها في وسطنا الثوريّ.

توقيتها؟

جاءت الحملة بالتزامن مع ظهور خذلان أُمَم الأرض لنا، وصَدَق فينا شِعار الثّورة الأول: «يا الله ما لنا غيرك يا الله»، ولكن كيف يكونُ معنا وهو القائل في الحديث القدسيّ: (يا عبادي إنّي حرّمت الظّلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرّماً فلا تظالموا).

دَعْوتُنا هذه ليست ردّة فعل على حادثةٍ جاءت في سياقٍ زمانيٍّ أو مكانيٍّ هنا أو هناك، وإنما هي مراجعةٌ للذّات ودعوةٌ إلى تصحيح المسار.

من تخاطبون؟

الجميع مخاطَبٌ ومعنيٌّ برفع الظلم... كلٌّ في مكانه. ولطالما عزونا الفسادَ إلى ما يفرضه النظامُ علينا، وها قد كسرنا القيد فلماذا نقبلُ اليوم بالفساد والظلم بيننا!

آسَفُ إذ أقول: إنّ بعض المؤسّسات الثّورية باتت تشابه المؤسسات والدوائر في عهد الأسد في طريقة تعاملها. لا شك أن تغيير الثقافة والتعامل لا يكون بهذه السرعة، وقد يتحقق مع مرور الوقت، إلا أنه يتوقف على مقدار العمل وبذل الجهد.

هل هناك نتائج عمليةٌ ونجاحاتٌ للحملة؟

النّجاح الذي نسعى إليه هو نشر ثقافة رفض الظلم، أياً كان شكله، لتصبح راسخةً وثابتةً في وعي الفرد والمجتمع. فمن خرج ضدّ أعتى أنظمة الظلم والطغيان حريٌّ به ألا يقبل أيّ ظلم آخر! وقد بدأت الحملةُ تنمو شيئاً فشيئاً، ولعلّها تأخذ أشكالاً جديدة في المستقبل.

ومن النتائج العملية التي رأيناها بيان الهيئة القضائية لحركة أحرار الشام، التي خصّصت رقماً لتلقي الشكاوى ضد أيّ إساءةٍ من أعضاء الحركة. كما عَلِمْنا أيضاً أنّ بعض المحاكم ترتّب لخطواتٍ مهمّة في هذا الصدد، وكذلك أبلغتنا بعض الجهات العسكرية بتشكيل ديوانٍ للمظالم يقدّم فيه العناصر شكاواهم ضد قادتهم أو المسؤولين عنهم. وهناك عدّة مبادراتٍ عمليّة أخرى، إلا أن معظمها لا يزال في طور الفكرة التي لم تنضج بعد.

أخيراً..

أشكركم على تسليط الضوء على الحملة التي لا شك في أن نجاحها نجاحٌ للجميع، لأنه يعني بالضرورة تصحيح مسار الثورة وتعبيد الطريق نحو وصولها إلى هدفها بشكل أسرع، ويتأتّى ذلك بزيادة فاعلية العاملين فيها، وعودة من أعرض عنها بسبب ظلم وقع عليه، وبالتالي إعطاءُ قوّةٍ ناعمةٍ وزخمٍ أكبر للثورة ليعود النّاس فيجذبوا إليها من جديد!

الهجوم على الرقة

وكالة ANHA

Courtesy Photo

تقرير خاص

أطلقت قوّات سوريا الديمقراطية، في 24 من الشهر الماضي، معركةً ضد تنظيم داعش جنوب تل أبيض لانتزاع مدينة الرقة منه. وبعد أسبوعٍ من ذلك تضاربت التصريحات وفترت المعارك على الأرض، فما الذي يحدث؟ وهل بات خروج التنظيم من الرقة وشيكاً؟

شنت قوات سوريا الديمقراطية، مدعومةً بطيران التحالف، هجوماً على الريف الشماليّ لمدينة الرقة انطلاقاً من عين عيسى. وأعلن المتحدث باسم تلك القوات أنها سيطرت على قريتي النمرودية والهيشة، بالإضافة إلى عدّة مزارع جنوب عين عيسى، في اليوم الثاني من المعركة، فيما نفت وكالة أعماق التابعة لتنظيم داعش تلك التصريحات وبثت تسجيلاً مصوّراً يظهر مقاتلين من التنظيم في قرية الهيشة، كما أعلنت عن مقتل 33 عنصراً من القوات الكردية بتفجير عربةٍ مفخخةٍ عند حاجزٍ لتلك القوّات جنوب عين عيسى. وبعد عدّة أيام على المعركة أعلنت روجا فيلات، القيادية في قوّات سوريا الديمقراطية، أنهم بدأوا بفتح جبهةٍ جديدةٍ شرق نهر الفرات للهجوم على مدينة الطبقة. ولم تسفر الاشتباكات عن أيّ تقدم وقتها. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أرسلت، في 25 نيسان الماضي، 250 عسكرياً إلى سوريا قالت إن مهمتهم تقتصر على تدريب قوات سوريا الديمقراطية. وأفادت وكالة أسوشيتد برس أن الجنرال جوزيف فوتيل، قائد القوات الأمريكية في الشرق الأوسط، قام بزيارةٍ خاطفةٍ إلى سوريا قبيل انطلاق معركة الرقة. وأعلن بريت ماكغورك، المبعوث الخاصّ للرئيس الأمريكيّ للتحالف ضد تنظيم داعش، أن زيارة فوتيل كانت للتحضير للمعركة. وكانت القوات الكردية قد سيطرت على مدينة تل أبيض في منتصف حزيران 2015 بدعم من طيران التحالف، وأكملت التقدم لتسيطر على سد تشرين في أواخر العام الماضي تحت اسم قوات سوريا الديمقراطية، وهي تحالف قوّاتٍ عربيةٍ وأرمنيةٍ وتركمانيةٍ وكرديةٍ بقيادة YPG (الجناح العسكريّ لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD) الذي يشكل عناصره الغالبية العظمى من مقاتلي هذه القوات. ومنذ ذلك الحين استقرت جبهات القتال بين القوات الكردية وتنظيم داعش، باستثناء عمليات التسلل التي قام بها مقاتلون من التنظيم في مدينتي تل أبيض وكوباني. وتفصل بين الطرفين قرى خربة هدلا والفرحانية والفاطسة وشمال خنيز، وهي تقع على طريق الرقة حلب جنوب غرب عين عيسى.

أهالي الرقة لا حولٌ ولا قوة

قبيل انطلاق المعركة ألقت طائرات التحالف منشوراتٍ تطالب أهالي الرقة بمغادرتها، مما سبّب نزوحاً خوفاً من قصف التحالف. يعيش في مدينة الرقة حالياً قرابة 350 ألف نسمة، 50 ألفاً منهم نازحون من مدنٍ أخرى، بحسب ناشطين من الرقة قالوا إن تنظيم داعش أعلن، عبر مكبّرات الصوت في المساجد، السماح بالنزوح إلى ريف الرقة الجنوبيّ. ونشرت صفحاتٌ إخباريةٌ على الفيس بوك أن التنظيم منع الأهالي من حمل أثاث منازلهم. ويذكر أن التنظيم كان يمنع الأهالي من مغادرة مناطق سيطرته، منذ عدّة أشهر، إلا للحالات الطبية أو التجارية، وهو ما يراه ناشطون محاولةً لاستخدامهم كدروعٍ بشرية.

ويتخوّف الأهالي من سيطرة الوحدات الكردية على الرقة بسبب الانتهاكات التي ارتكبتها في منطقة تل أبيض، من تهجيرٍ للقرى العربية واضطهادٍ للأهالي واعتقالٍ بحجّة الانتماء إلى تنظيم داعش. وهو ما استغله التنظيم في خطب الجمعة محرّضاً الأهالي على الانضمام إلى صفوفه للدفاع عن أرضهم. ويقول أحد السكان إن هذه النداءات لاقت قبولاً عند بعض الأهالي الذين يفضلون بقاء التنظيم على سيطرة الوحدات الكردية.

الهجوم بين رغبة أميركا وطموح الوحدات الكردية

بعد أسبوع من انطلاق المعركة لم تفلح قوّات سوريا الديموقراطية في التّقدم كثيراً، واقتصرت سيطرتها على بعض المزارع بالقرب من عين عيسى، على عكس ما حصل عند سيطرة تلك القوات على مدينة الشدادي عندما استغرقت المعركة ثلاثة أيام فقط. وكانت صحيفة الفايننشال تايمز البريطانية قد نقلت عن طلال سلو، المتحدث باسم قوّات سوريا الديموقراطية، أن هدف المعركة هو السيطرة على الريف الشماليّ للرقة ولا توجد أيّ خطة لما بعد ذلك. وأضاف أن المعركة ستسير ببطء بسبب استخدام داعش الألغام والمفخخات. بينما يرى محللون أن الوحدات الكردية لا ترغب في السيطرة على مدينة الرقة، وأن دخولها المعركة هو لكسب رضى الأمريكان والحصول على مساعدتهم في استكمال معركة الوحدات لوصل المناطق التي تسيطر عليها في الشمال السوريّ ببعضها. وهذا ما صرّح به إدريس نعسان، المسؤول السياسيّ لحزب الاتحاد الديمقراطي في مدينة عين العرب (كوباني)، لإحدى وسائل الإعلام، حين قال إنه يعتقد أن الوحدات الكردية ستحظى، بعد الهجوم على الرقة، بموافقة أمريكا للهجوم على منبج. ويرى ناشطون أن السيطرة على الرقة ستشكل عبئاً ثقيلاً على الوحدات الكردية يستنزف مقاتليها، كما أنها لا تقع ضمن الجغرافيا التي تسعى الوحدات إلى السيطرة عليها.

ردّة فعل داعش على المعركة

في الوقت الذي تهاجم فيه قوات سوريا الديمقراطية الرقة شنّ التنظيم هجوماً على مدينة مارع في ريف حلب الشماليّ وسيطر على عددٍ من القرى بالقرب من الحدود التركية، وبذلك قطع خط الإمداد الذي يصل مارع بإعزاز وكرّر محاولاته اقتحام مارع. وبحسب مصادر مقرّبة من التنظيم فإنه استقدم -ولعدّة مرّات- تعزيزاتٍ من دير الزور باتجاه ريف حلب الشماليّ في الوقت الذي لم تشهد فيه جبهات القتال في الرقة أيّ حشدٍ من قبل التنظيم. ويقول ناشطون إن الهجوم على مارع يدلّ على اطمئنانٍ غريبٍ لدى التنظيم تجاه معركة الرقة أكده بعض سكانها بعدم مشاهدتهم تحرّكاتٍ عسكريةٍ في المدينة كما حدث عند سيطرة الوحدات الكردية على تل أبيض. ويرى أحد المحللين ان إصرار التنظيم على الهجوم على مارع في هذا الوقت يعكس رغبته في جرّ تركيا إلى معركةٍ لن تسلم الوحدات الكردية منها. فكما هو معروفٌ يسعى حزب PYD إلى السيطرة على إعزاز، ولن يجد مبرّراً أفضل من سيطرة داعش على تلك المنطقة لتنفيذ مخططه، وحينها سيكون الأتراك أمام خياراتٍ صعبة؛ فداعش -التي تقصف مدينة كلس التركية بشكلٍ مستمرّ- أصبحت على تماسٍّ معهم، وإلا فستمدّد الوحدات الكرديّة -عدوّ تركيا الأكبر- على مساحاتٍ أوسع عند الشريط الحدوديّ، وعندها سيضطرّ الأتراك إلى تدخلٍ برّيٍّ تكون الوحدات الكردية أحد أهدافه إن لم تكن هدفه الأول، ما يعني استنزافاً للقوّة التي تعتمد عليها الولايات المتحدة الأمريكية في محاربة داعش في سوريا، وهذا ما يبحث عنه التنظيم ليضمن بقاءه لأطول مدّةٍ ممكنة. ولكن هل سينجح التنظيم في ذلك؟

يقول أحد متابعي شؤون التنظيم إن داعش منهكةٌ عسكرياً وتعاني من نقص حادٍّ في المقاتلين، ولم تعد قادرةً على حشد أعدادٍ كبيرةٍ لمعاركها كما حدث في كوباني والحسكة. إذ فقدت عدداً هائلاً منهم جرّاء قصف التحالف والمعارك التي خاضتها منذ عامين حتى الآن، ولذلك تعتمد في قتالها على المفخخات التي قلما تنفع في المعارك على أرضٍ مفتوحةٍ كالتي تخوضها في الأرياف وأطراف المدن. إضافةً إلى أن قسماً كبيراً من مقاتلي التنظيم في سوريا حالياً هم من المراهقين الذين لا يملكون أيّ خبرةٍ في القتال. وهذا ما يجعل مسألة سيطرته على مارع أمراً مستبعداً، وكما رأينا فقد تراجعت داعش عن بعض القرى التي سيطرت عليها مؤخراً. وإن حشد قواتها على مارع في الوقت الذي تستعدّ فيه قوات سوريا الديمقراطية للهجوم على منبج دليلٌ على تخبّط التنظيم الذي قد يخسر مناطق سيطرته في الريف الشماليّ لحلب بالكامل لو سيطرت قوات سوريا الديمقراطية على منبج. ويرى أحد الخبراء في السياسة التركية أن تدخلاً برياً من الأتراك سيزعزع أمنهم، ولو كان في مقدورهم لفعلوه منذ زمنٍ قبل أن تتمدّد الوحدات الكردية وتسيطر على مساحاتٍ واسعةٍ من الحدود مع تركيا. ولذا فإن المرجّح سيكون تفاهماً أميركياً تركياً يقضي أن تكمل الوحدات الكردية معركتها ضد داعش في منبج والباب وصولاً إلى تل رفعت، تاركةً الشريط الحدوديّ الممتد من إعزاز إلى جرابلس تحت سيطرة الجيش الحرّ.

حتى الآن تسير معركة الرقة ببطءٍ وباستراتيجيةٍ غير واضحة المعالم. فبالتزامن مع الهجوم على الرقة قامت الوحدات الكردية بفتح جبهةٍ جديدةٍ في المعركة مع داعش غرب سد تشرين بالقرب من منبج، فهل ستؤجل الهجوم على الرقة على حساب منبج؟

منشورات ألقتها طائرات التحالف على الرقة

في الرقة.. داعش تستعدّ للرحيل، وللقتال أيضاً

مقاتلون من داعش في الرقة
وكالة Association Press

فاضل عيساوي

في قريةٍ من ريف الرقة الشرقيّ، وأثناء جلسةٍ دعويةٍ لداعش، قال أبو تقوى، وهو أحد شرعيّي التنظيم هناك: «نحن فرحون بالحربِ القادمة. وتحالف القوى العالمية ضدّنا ما هو إلا دليلٌ على أحقيتنا بالخلافة الإسلامية».

تساءل أبو تقوى في الجلسة ذاتها: «بدكم وحدة تجي تحكمكم وتسبّ ربكم؟ (قاصداً المقاتلات في صفوف القوات الكردية) والشيوخ ماشيين وراها مثل الخرفان (أي شيوخ العشائر العربية)؟ وتقلّه: يا عربي! بدكم حدا يحكمكم مشان يرخص لكم الأسعار؟ وما تعرفون أنه بترخيص الأسعار راحت عزّتكم. تدوّرون الدنيا وتنسون عزّ الآخرة».

لا يعبّر أبو تقوى عن رأيه الشخصيّ، بل عن احتمالٍ واردٍ في أذهان الدواعش عن مصير الرقة أمام الهجوم المحتمل لما يُعرف بـ«قوات سوريا الديمقراطية». وحسب ما قال مصدرٌ مطلعٌ على أحوال التنظيم من الرقة فقد أحسّ بعض مسؤولي داعش مبكراً بالخطر، وحاولوا التملص بطرقٍ شتى أبرزها طلبات الانتقال إلى العراق، وخاصّةً من العراقيين، مثلما فعل أبو عمر قارداش، وهو الاسم الأخير الذي اتخذه القائد الأهم بين قادة داعش العراقيين في الرقة، والذي تفوق مكانته في صفوف التنظيم مكانة أيّ قائدٍ آخر في سورية، وحين لم يُلبَّ طلبُه أرسل عائلته إلى الموصل. وكذلك فعل مراقب البغدادي الخاصّ في سورية، الملقب «عين البغدادي»، وقادةٌ آخرون، مما يؤكد حالة اليأس المتزايدة لدى المستويات الأعلى في التنظيم. وبالنظر إلى المستقبل المظلم الذي ينتظر هؤلاء أينما ذهبوا، فلا بدّ أنهم يفضلون أن تكون معركتهم الأخيرة في موطنهم على أن يقتلوا في الرقة.

وبالتزامن مع مظاهر الهزيمة القادمة لداعش في الرقة، ووصايا شرعيّي التنظيم ودعاته للأهالي بضرورة التمسك بالدين في حال وقعت المدينة في يد «ملاحدة الأكراد»؛ يعلن الدواعش عزمهم على التمسك بها والدفاع عنها، ويتوعدون المهاجمين بأن الانسحاب من مدينة تل أبيض، قبل عام تقريباً، لن يتكرّر في الرقة، وبأن خروج معقل الخلافة عن سيطرة التنظيم هو محض خيال.

وفي الآونة الأخيرة أطلقت داعش في «ولاية الرقة» حملات تجنيدٍ جديدةٍ لحضّ الشبان والمراهقين والأطفال، وكذلك الفئات العمرية الأخرى، على الانضمام إلى التنظيم. ووصل الأمر، مع تآكل المسافات التي تفصل المدينة عن خطوط الاشتباك في الريف الشماليّ، إلى إطلاق دعوات النفير العام عبر مكبّرات صوت المساجد.

لا تملك داعش الكثير من وسائل المقاومة أمام الحشود المدعومة بطائراتٍ وقوّاتٍ أمريكيةٍ خاصّة، سوى الانتحاريين والسيارات المفخخة وبعض الحيل البائسة مثل تغطية الشوارع من أعلى البيوت لحجب الرؤية من السماء، والحؤول دون استهداف قادة التنظيم وسياراته. إضافةً إلى إغلاق جسر المغلة على نهر الفرات بين محافظتي الرقة ودير الزور، وإغلاق الجسر الرئيسيّ جنوب المدينة بحجّة الصيانة، لتفخيخه أو لمنع السكان من النزوح لاتخاذهم لاحقاً كدروعٍ بشرية، كما يقول كثيرون.

تتضاءل الخيارات أمام الناس مع الأفعال والأقوال المتناقضة التي تصدر عن الدواعش. وبين طرفي الصراع لا يبدو أن أحداً يبالي بأحوالهم وإراداتهم ومصائرهم. ولن يفلح بالتأكيد الطابع الزائف لديمقراطية القوات المهاجمة في طمأنتهم، ولا انتماء أعدادٍ من المقاتلين العرب إليها، كثيرةً أكانت هذه الأعداد أم قليلة. وحتى لو انحاز سكان الرقة إلى المهاجمين فإن هذا لن يغيّر من الطبيعة الفاشيّة لحزب PYD أو مشتقاته العسكرية ذات الأسماء البرّاقة، تؤكد ذلك التجارب القريبة لمدنٍ وبلداتٍ وقرىً وقعت تحت سيطرة هذا الحزب، عانى ويعاني أهلها اليوم من الاضطهاد على أساسٍ عرقيّ. بل إن مجموعاتٍ عربيةً تحالفت مع PYD وقاتلت داعش إلى جانبه لمدّةٍ طويلة، مثل لواء «ثوار الرقة»، عانت هي الأخرى من الاضطهاد والسلوك العنصريّ والإكراه إلى درجةٍ أُجبر فيها «أبو عيسى»، قائد هذا اللواء، على الانضمام إلى «قوات سوريا الديمقراطية» وحلّ جيش العشائر الذي أسّسه لقتال داعش ولحفظ كرامة السكان العرب أمام الممارسات المهينة للقوات الكردية.

بتجاهلها المعطيات المعقدة لمعركة الرقة، تتحمل الحكومة الأمريكية كلّ المسؤولية عما سيحدث، وما سيتولد من ردات فعل، في حال خرجت الرقة من احتلال داعش ووقعت في احتلالٍ جديد.

عشيّة معركة الرقة

«حزب الاتحاد **الديموقراطي**»
«مجلس سوريا **الديموقراطية**»
«الإدارة الذاتية **الديموقراطية**»
«قوات سوريا **الديموقراطية**»
«الأمة **الديموقراطية**»

بكر صدقي

هذه ليست قصيدةً عموديةً في شطرين، بل أسماء كياناتٍ ومفاهيم سياسيةٍ-«فلسفيةٍ» لا يمكن إدراك معانيها العميقة ما لم نذكر معها صور الجثث المكوّمة فوق شاحناتٍ كبيرة، تستعرضها «قوات حماية الشعب» التابعة للشطر الأول من البيت الأول من اللاقصيدة المذكورة أعلاه، في مدينة عفرين، أو «كانتون» عفرين. والجثث لضحايا فصائل عسكريةٍ تقاتل دفاعاً عن قراها في الريف الشماليّ لمدينة حلب، وتتعرّض اليوم إلى هجوم متزامنٍ من ثلاثة: داعش وفسد المدعومين من طيران نظام البراميل الكيماويّ وحليفه الروسيّ.

هذه هي لوحة الصراع العسكريّ في شمال حلب، لا يغيّر منها شيئاً التذرّع بقصف فصائل عسكريةٍ في حلب للشيخ مقصود، أو المعارك الدائرة بين داعش وقوّات النظام في دير الزور، أو بين وحدات «الحماية» وقوات النظام -الشهر الماضي- في القامشلي. أي أن أولئك الذين يسعون إلى تحصيل شرعيةٍ لأنفسهم من قتالهم لداعش (نظام الكيماوي وقوات فسد) يساعدون داعش عملياً على إسقاط مارع.

هم لا يسعون إلى شرعيةٍ اجتماعية، على أيّ حال، بل شرعيةٍ أميركيةٍ يظنون أنها كافيةٌ ليضعوا أنفسهم على الطرف «الجيد» من المعادلة، تماماً كظنهم أن السطو على صفة «الديموقراطي/الديموقراطية» في أسماء دكاكينهم، يكفي لجعلهم من «الأخيار» في مواجهة «الأشرار».

كل هذه البهلوانيات والشطارة والأكاذيب لن تغطي على كون «الاتحاد الديموقراطي» اليوم مجرد بيدقٍ في يد الولايات المتحدة وروسيا معاً، يبرّر للأولى سياستها المدمرة في سوريا، ويساعد الثانية على ضرب بقايا المعارضة المسلحة من جهة، وتصفية حساباتها مع تركيا وإخراجها من معادلات الصراع السوريّ، من جهة ثانية. أما تعامل «قوات الحماية» مع السكان في مناطق سيطرتها فيعطي صورةً شفافةً عن مستقبل الكيان الفيدراليّ الذي أعلنوا عنه قبل حين.

فمن جهةٍ أولى، استعدوا الجيران العرب في المناطق المختلطة، من خلال التهجير القسريّ الذي قاموا به في عددٍ من قرى منطقتي تل أبيض والجزيرة، ويرفضون اليوم استقبال النازحين المدنيين من مارع والقرى المجاورة لها، بل فعلوا ما هو أسوأ من ذلك حين احتجزوا حرية إحدى موجات النزوح المبكرة ليساوموا على النساء والأطفال. حقاً يندى جبين أيّ كرديٍّ من هذا الدرك الوضيع لعصابةٍ تنتمي إليهم عرقياً، وتتحدث أمام الروس والأميركيين باسمهم.

ومن جهةٍ ثانية، يقترفون كل الشرور الدكتاتورية بحقّ الكرد الخاضعين لسلطتهم، فيقتلون ويشرّدون ويعتقلون ويشوّلون ممتلكات كلّ كرديٍّ يفكر بطريقةٍ مختلفةٍ عنهم، كأن أحداً كلفهم بجعل الكرد يترحمون على حكم نظام بشار الكيماويّ الساقط وأجهزة مخابراته، ويكرهون حقّ تقرير المصير الذي طالما تاقوا إليه، إذا كان هذا سيجعل شذاذ الآفاق والقتلة المأجورين يتحكمون برقابهم.

واليوم قرر السيد أوباما أن يحقق «إنجازاً» يبرّر به سياسته المشينة في سوريا والعراق أمام الناخب الأميركيّ، قبل أن يحزم حقائبه ويغادر البيت الأبيض، فأعطى إشارة البدء بتحرير الرقة ومنبج والفلوجة والموصل من داعش. فأطلقت «فسد» (أي قوات صالح مسلم المغلفة بحلفاء عرب) حملتها باتجاه الرقة، في حين ما زال شد الحبال مستمراً بين الإدارة الأميركية وأردوغان لتحديد مصير منبج ومن سيحرّرها من داعش.

وبقدر ما يثير إفلات قطعان الحشد الشيعيّ على مدينة الفلوجة من مخاوف، يثير إفلات قوات «فسد» باتجاه الرقة. فهنا وهناك يزداد الاحتقان الأهليّ، ويؤسس لكراهيةٍ طائفيةٍ وقوميةٍ مديدةٍ بين السكان، مما يرفع من رصيد المنظمات العدمية كداعش الذي من المفترض أنه هو المستهدف في هذه الحملة المزدوجة بقيادة الولايات المتحدة.

هناك شطرٌ ناقصٌ في اللا-قصيدة الديموقراطية التي تصدّرت هذه المقالة، ولا بد من البحث عنه. وخير طريقةٍ لهذا البحث هي ذلك التعبير الترويجيّ الشهير: «ع الأصل دوَّر!».

والأصل «نموذجٌ حضاريٌّ» أصيلٌ يمزج بين عناصر من العقيدة الشيوعية وأخرى من فلسفةٍ محليةٍ ابتكرها الزعيم المؤسّس كيم إيل سونغ كنسخةٍ وطنيةٍ من الشيوعية أطلق عليها اسم «زوتشية»، كانت من مصادر إلهام مؤسّس نظام البراميل في سوريا.

وهكذا يكتمل شطرنا الناقص: دولة الرعب والمجاعة المسماة «جمهورية كوريا **الديموقراطية** الشعبية»!

الكاريكاتير للفنان التركي Osman Turhan

من سير المبايعين في دير الزور

لماذا أثير كلّ هذا اللغط حول مقتل أبو محمد الأنصاريّ

سمهر الخالد

تناقلت مواقع إعلامية، بتاريخ 13 أيار المنصرم، خبر مقتل أبو محمد الأنصاري كأحد قياديي تنظيم الدولة الإسلامية في مدينة دير الزور. وعزا ناشطون محليون مقتله إلى اشتباكٍ مع قوّات النظام في حيّ الصناعة. ليثور الخلاف إثر ذلك بين الناشطين والمتفاعلين على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وبنسبةٍ أقلّ بين أهالي المدينة، منقسمين حوله بين شامتين ومترحمين.

ليس من الصعب تفهم اختلاف نظرة الأهالي والناشطين إلى بيعة العناصر المحليين. فمن المؤمنين بتنظيم الدولة حتى المقاتلين ضده تتدرّج المواقف والآراء بحسب درجة القرب من هؤلاء العناصر، ومعرفة أحوالهم ومبادئهم، ولأسباب أخرى تتعلق ببقائهم على جبهات القتال، ورفضهم تركها لأيّ سبب كان. الأمر الذي يدفع الكثيرين إلى المنافحة عن هؤلاء العناصر، وخلق هالةٍ حول بعضهم وعدم السماح بالمساس بهم، رغم أنهم منضوون تحت راية التنظيم، وهو الجهة التي يعاديها المنافحون أو يفضلون أيّ سلطةٍ على سلطتها. وتمكن ملاحظة أن حجم المنافحة يتناسب طرداً مع حجم العنصر وتأثيره على الأحداث، بالتزامن مع سرد قصص ووقائع جمعت المنافحين مع تلك الشخصيات، وكأن الامر يتعلق بالبحث عن موطئ قدم إلى جانب أسمائهم التي سيتذكرها الجميع إلى ما بعد حين، بغضّ النظر عن الجهة التي ينتمون إليها، إذ تكون الأسماء ذاتها، في الذاكرة الشعبية، رمزاً يستمد طاقته من ذاته.

في ما يخصّ الأنصاري (مصطفى الحداوي) خرّيج الاقتصاد ذا الأربعة والثلاثين عاماً، لا تختلف الروايات حول انخراطه في الثورة كمتظاهر أولاً، ثم انتمائه إلى كتيبة الأنصار الإسلامية، فعضويته في حركة أبناء الإسلام (تشكيلٌ عسكريٌّ ضمّ عدة فصائل)، وتوجّهه مع مجموعةٍ من رفاقه -بعد خلافٍ في الحركة- إلى فصيل الفاتحون من أرض الشام، ثم، وعلى خلفية رفضه ورفاقه قتال تنظيم الدولة مع الحركة، تركها بعد مدّةٍ قصيرة، ليختار سراً مبايعة التنظيم الذي كان يتمدد على مقربة من المدينة.

على أن الاختلاف والخلاف يبدآن مع التفاصيل التي تحاول وضع سيرته في سياق الأحداث. فهناك من يسوق الأحكام الفقهية التي تتسلسل حتى تصل إلى رفض قتال التنظيم، فضلاً عن الدفاع عن المدينة وتجنيبها الاقتتال؛ وهما تبريران يتصلان بالرأي حول تمدد التنظيم لدى الكثيرين، إذ يسوقون الحجج حول (تفرغ فصائل الريف للعمل في النفط، ثم قتالها التنظيم للدفاع عن عملها، وتوريطها أبناء المدينة في القتال، وأخيراً نكوصها واستسلامها وتركها المدينة تواجه قدرها). وفي هذا السياق يأخذ الحداوي دور المنقذ الذي أخذ بيعات فصائل ومقاتلي المدينة، بعد دخول التنظيم إليها، لتجنيبهم انتقام الأخير.

وهناك من يسلط الضوء على مراحل من سيرة الحداوي في عمر الثورة كي يصل إلى أن بيعته جاءت للانتقام من الخصوم في التشكيلات التي عمل بها، أو التي نافست تلك التشكيلات على قيادة العمل العسكريّ. وهنا تأتي قيادته لكتيبة الأنصار لمدّةٍ بسيطة، ثم تنحيته من قبل مجلس شوراها ليصبح قائداً عسكرياً، ومحاولته الانتقام من جبهة النصرة التي استأثرت بسلاح حركة أبناء الإسلام ولم تسمح له بأخذ سلاحه عند انضمامه إلى الفاتحون من أرض الشام. وفي هذا السياق يصبح الحداوي أحد ممهدي الطريق لسيطرة التنظيم على المدينة للاستفادة منه في القضاء على خصوم الأمس الذين يربط البعض تصفية التنظيم لهم بتحريض الحداوي. ومن وجهة النظر هذه يستطيع المتابع فهم الخبر الذي تداولته صفحاتٌ إعلاميةٌ سوريةٌ وعربيةٌ حول مقتل الحداوي في حيّ الرشدية، وفيه يعزو ناشطون محليون مقتله إلى عملية اغتيال نفذها مجهول، قد يكون أحد أهالي الضحايا الذين كان الأنصاري سبباً في قتلهم على يد التنظيم.

وبين هذا وذاك يقول مقرّبون من الحداوي إنه تقبّل وضعه كشخصيةٍ ثانويةٍ في كتيبته الأم لأسبابٍ تتعلق بالداعمين. وبعد انضمامه إلى حركة أبناء الإسلام لم يعد في الإمكان إقناعه بالانصياع لسياسات الفصائل وداعميها، ما أدى إلى استعصاء اندماجه ورفاقه في أيّ تشكيلٍ في المدينة. وقد حاول إقناع المقاتلين ببيعة التنظيم وقت تمدده بعد أن حصل على وعودٍ منه أنه سيترك الكتائب على حالها إذا قبلت بالانضمام إليه، الأمر الذي عايش الحداوي خلافه وهو يشغل مناصب صغيرةً في المدينة، ثم ليعود مقاتلاً على الجبهات.

على أن أكثر المكترثين لأمر الحداوي وذكره بعد موته هم من معارضي التنظيم!

إما الحمم أو حميميم!

أحمد عيشة

حميميم، القرية الجميلة بين جبلة والقرداحة في جبال العلويين، تحوّلت إلى أهمّ قاعدةٍ عسكريةٍ روسيةٍ في سورية، تنطلق منها الطائرات التي توزّع الحمم منذ اليوم الأخير لأيلول 2015 وحتى يومنا. وزيادةً على دورها في القتل اليوميّ صار لها دورٌ إضافيٌّ تكميليٌّ في إخضاع السوريين، عبر ما يُعرف بلقاءات حميميم السياسية التي نتجت عنها «معارضة» حميميم.

وهو الأمر الذي يكشف عن السياسة الروسية ذات العقلية الاستبدادية المتجذرة والمرافقة لطبيعة نشوء الدولة هناك، التي تعتمد الحضور الكليّ لرأسها مبتلعاً المجتمع وتعبيراته الحية، ومعيداً تشكيله قسرياً وفق أهواء «الزعيم». هذه السياسة التي يكرّسها اليوم بوتين الآتي من رحم «الحزب» الستالينيّ ومخابراته، مستلهماً بشغفٍ تجربة «معلّمه» الذي أذاق المواطنين الروس -وغيرهم من دول ما كان يُعرف بالاتحاد السوفياتيّ- الويلات، والذي اختزل المجتمع بالحزب وصولاً إلى عبادته وتقديس شخصه، في ما عُرف بعبادة الفرد-الزعيم الذي كان مصير من لا يعبده معروفاً، الغياب الكليّ.

تلك تجربةٌ تستهوي كلّ الطغاة والمستبدين. وكان جوهر العلاقة بين الدكتاتور الأسد الأب والسوفيات يقوم على استنساخ التجربة وأدواتها وعقليتها التي تعتمد مبدأ «إما... أو...». فسادت الأشكال المشوّهة من جهةٍ، والخانقة لكلّ أشكال الحياة في المجتمع من جهةٍ أخرى، من المنظمات الشعبية -التي كان آخرها الطلائع- إلى أجهزة الإخضاع والرعب، المخابرات، التي تكمل دورة السيطرة على الأفراد والمجتمع، والتي ورثها الطاغية الابن بشكلٍ هزليّ.

لا تخرج سياسة الأزعر بوتين و«ذيله» المسخ عن تلك العقلية. فما لم تحققه مخابرات الأسد وقوّاته طيلة السنوات الخمس الماضية، وفتاوى «المرشد» لتحشيد كلّ قطعان الموت المذهبية، يريد تحقيقه الدعم الخلفيّ الروسيّ أولاً ثم المشاركة المباشرة التي صارت حميميم منطلقاً لها ورمزاً.

ولا يقتصر الدور الروسيّ على عمليات القتل اليومية، فلا بدّ من استكمال المهمة بشكلٍ آخر أكثر نعومةً وأناقة، أي الشكل السياسيّ عبر تكوين «معارضةٍ» وفق الرؤيا الروسية المعتمدة على المقاتلات، وهو ما عبّر عنه صراحةً «المندوب السامي» لافروف بقوله مؤخراً: «إن المقاتلات الروسية تمهد الطريق جيداً للمفاوضات في سورية». فالهمّ الأساسيّ للروس هو إفشال ثورة السوريين وإعادتهم إلى نظامٍ بالجوهر ذاته، التطويع والخنق.

كان طبيعياً، في مجتمع مزّقته المخابرات حتى أصغر تشكيلاته ونخرتها حتى القاع، أن تلاقي الدعوات الروسية لتشكيل وفودٍ «معارضةٍ» بديلةٍ أو موازيةٍ لوفد المعارضة السورية الشرعيّ قبولاً. وبالطبع كان ذلك القبول محصوراً بمجموعاتٍ وشخصياتٍ مختلفةٍ في سورية، ومن منابت شتى، ولكن تنظمها ذات العقيدة/المذهب: العداء للمجتمع والاغتراب عنه؛ من شخصياتٍ دينيةٍ تربّت على تعليمات فروع المخابرات وفتات موائدها، تجترّ عقلها «المستقيل» وقت طلب الفتاوى السلطانية، إلى شخصيات «الحزب» الحديث الذي يعلن صراحةً أنه «مستعدٌّ» لإيجار بندقيته، مروراً ببعض قدامى «اليسار الشيوعيّ»، الذي وجد ملاذه الأخير ضمن «هويته» العميقة، ليعلن أن الخطر الأساسيّ قادمٌ من الفاشية الإسلامية المتطرّفة، دون نسيان «صنّاع الدستور وشارحيه». كل هؤلاء يتلاقون ويروّجون للوجه الروسيّ الناعم بعد غضّ الطرف عن الوجه البشع- إن لم يكن ضرورةً لهم!- الذي يرسم عنوةً مستقبل سورية بشكلٍ يستعدي الغالبية ومحوره الأقليات و«علمانيتهم».

فالقصف الوحشيّ الذي تتعرّض له حلب في الفترة الأخيرة، متزامناً مع تعثر المفاوضات وعدم التجاوب أو الخضوع للمطالب الروسية، هذا القصف الذي شمل كلّ مرتكزات ما تبقى من حياةٍ، وما سبّبه من تهجير؛ هو التعبير عن تلك السياسة، بل هو الجناح الهامّ فيها، إن صحّ القول إن السياسة الروسية بجناحين، يعبّر عن جوهرها مبدأ: إما، أو؛ إما الطائرات وقذائفها أو قاعة كبار الزوار في المطارات، والهدف واحدٌ وإن اختلفت الطرق ظاهرياً.

لكن خيار السوريين هو الحرية -التي تتنافى جوهرياً مع الروس الذين باتوا يتعاملون مع سورية كإحدى جمهورياتهم- خيار الفضاء الكبير الذي يتسع للجميع وأولهم المختلف، والبديل الحقيقيّ لخيار المستبدين المتلخص في خيار إما، أو. فرغم كلّ الدمار الذي لحق بالبلد ظلّ السوريون يرفضون ما طرحه الأسد منذ البداية «إما أنا أو أحرق البلد»، وهم مستمرّون في رفض الدور الروسيّ «إما الحمم أو حميميم»، ورفض الإغراءات بالذهاب إلى قاعدة الموت التي لن تصبح أبداً مركزاً للسلام.

«في انتظار العالم»

مقابلة مع أحد آخر الأطباء الموجودين في حلب

كريستوف رويتر
دير شبيغل/ 25 أيار
ترجمة مأمون حلبي عن الإنكليزية

أحد الأطباء القلائل المتبقين في حلب يناقش وضع المدينة اليائس، ويتكلم عن الهجمات التي تستهدف الأطباء والمشافي، شاعراً بالأسى لعجزه عن تقديم علاجاتٍ وافيةٍ في منطقةٍ دمرتها الحرب.

منذ قرابة 4 سنواتٍ وحلب الشرقية هدفٌ لقصف قوّات النظام الجوية، مع انضمام روسيا إلى حملة القصف منذ أيلول الماضي. وقف إطلاق النار الذي أُعلِنَ عنه في شباط غيّر الوضع لوقتٍ قصيرٍ فقط، إذ سرعان ما زاد جيش النظام من استهدافه للمدنيين. حدث القصف الأكثر مأساويةً قبل حوالي 3 أسابيع، عندما أطلقت طائرات النظام صواريخها مدمّرةً مشفى القدس، الذي تدعمه منظمة «أطباء بلا حدود». مات في هذا القصف أكثر من 50 شخصاً، بينهم محمد وسيم معاز، أحد آخر أطباء الأطفال المتبقين في المدينة.

أسامة أبو العز، جرّاحٌ يبلغ الثلاثين عاماً، هو أحد الأطباء القلائل الذين ما زالوا صامدين. في بداية المقابلة -التي تمت بواسطة الهاتف- قال الطبيب إن حديثنا قد ينقطع إن كان عليه أن يجري عمليةً طارئة، أو إن اقتربت الطائرات من المشفى.

هل كان للهجوم على مشفى القدس تأثيرٌ عليك وعلى عملك؟

بالتأكيد. ما نزال نجري إلى القبو كلما حامت الطائرات فوق المدينة. فهم قادرون على الاستهداف بدقةٍ أكبر بكثير مما كانوا يستطيعون من قبل، عندما كانوا يلقون براميلهم غير الموجّهة. كانت البراميل قويةً جداً، لكنها كانت تصيب أهدافها بدرجةٍ أقلّ. حالياً يصيبون أهدافهم، ومن الواضح أنهم يريدون إصابةً وقتل آخر الأطباء والممرّضين في حلب الشرقية.

كنت تعرف أحد ضحايا الهجوم الأخير بشكلٍ جيد، طبيب الأطفال محمد وسيم معاز.

كانت تربطنا صداقةٌ حميمة. لم يكن لديه عائلة، وكان يعيش في المشفى تقريباً، ويعالج يومياً 100 وأحياناً 150 طفلاً. كان لا ينقطع عن العمل. والأهم من هذا أنه كان أمل أطفال حلب. كان أبو عبدو يزيل كلّ خوفٍ يتملكهم عندما كانوا يأتون إليه ينزفون. لقد تلقى عروضاً للعمل في أماكن أخرى، لكنه لم يغادر.

وأنت؟ هل ستستمرّ في البقاء؟

لن أرحل. إن رحلنا نحن الأطباء فإننا لا نسرق من الناس فرصتهم في تلقي العلاج فقط، وإنما نسرق منهم أيضاً الأمل بأن مدينتنا ستبقى حية. لا يوجد بديلٌ لأيّ طبيبٍ يغادر أو يموت. كثيرٌ من الناس هنا يتملكهم الغضب الشديد بسبب الخوف واليأس. الأطفال في حالٍ من الهيستيريا، ويبولون في ثيابهم. كبار السن يصابون بتسرّعٍ في دقات القلب عندما يسمعون صوت الطائرات. من فضلك اعذرني لنصف ساعة... هناك حالةٌ طارئة.

تمضي ساعتان قبل أن يعود الطبيب.

حالة بتر. لدينا كثيرٌ من الحالات التي يجب علينا فيها أن نجري عمليات بترٍ مستعجلة. قبل بضعة أيام كان لديّ هنا طفلٌ عمره 12 عاماً. كان يعاني من شظايا في بطنه، وكانت أمعاؤه تتدلى خارجاً. لكنه كان يعاني أيضاً من شظايا في صدره وجمجمته وإصابةٍ في عينه اليسرى. استطعنا تأمينه إلى تركيا، وأعتقد أنه فقد عينه.

أنت لا تعتقد أن الهجمات عشوائية؟

إطلاقاً. كان لي 3 زملاءٍ كنت أقوم بمشاركتهم الرعاية للمحتجّين الجرحى في عام 2011. في أيار 2012 اعتقلوا معاً عند أحد حواجز النظام. بعد 3 أيام وجد الأهالي 3 جثثٍ متفحمة. في الطبابة الشرعية تعرّفت أسر الأطباء الثلاثة إلى أبنائها.

ماذا تقول لعائلتك بخصوص قرارك بالبقاء في حلب؟

زوجتي وأبنائي الثلاثة يعيشون حالياً في تركيا. عندما نتكلم عن هذا الأمر أقول لهم إن حياتنا في يد الخالق. آمل أنه سيحمينا. إن متُّ في مشفانا فعلى الأقل ذاك هو المكان الصحيح. قد أغادر المدينة وأموت في أيّ مكانٍ من العالم بحادثٍ مروريّ. ذلك سيعتبر خيانةً لكلّ الذين يأملون أن هذا النظام المجرم سيزول ذات يوم. لا أريد لأطفالي أن يكبروا كلاجئين. ينبغي أن يكونوا قادرين على العيش كأناسٍ أحرار.

ما الذي تحتاجونه بشكلٍ مُلحٍّ وعاجل؟

أطباء وأجهزة مخبرية. لكن لم يَعُد أحدٌ يجرؤ على المجيء إلى هنا. أحد القلائل الذين أتوا كان الطبيب عباس خان، البريطانيّ الجنسية. بينما كان يتنزه مشياً في أحد الأيام ضلّ الطريق وانتهى به الأمر إلى منطقةٍ يسيطر عليها النظام. ألقي القبض عليه ومات بعد سنةٍ من التعذيب. نحتاج أيضاً إلى مشفىً على الحدود التركية لا يكون عرضةً للقصف.

لا تظلموا محمد علي البودي

منفعلاً، وبكثير من الزهو والتباهي، ظهر محمد علي البودي في المقطع الذي يصوّر شاباً ألقي القبض عليه كواحدٍ من المتهمين بالتفجيرات التي ضربت مدينتي جبلة وطرطوس. لكن، وخلال ساعاتٍ بعد أن حقق المقطع عدداً هائلاً من المشاهدات، تبيّن أن ذلك المتهم جنديٌّ حلبيٌّ في جيش الأسد، كان في إجازةٍ لزيارة أهله النازحين إلى جبلة، فانقلبت حملة الإطراء والإعجاب بالبودي إلى شتائم غاضبةٍ باعتباره نموذجاً على الفساد والفوضى والتشبيح غير الموجّه باتجاهه الصحيح. وعلى صفحته على الفيسبوك نشر البودي مدافعاً عن نفسه:

« هاام لكل من يسيئ لي....

1. انا دمي وروحي فدا سوريا الاسد

2. انا انقذت العسكري من الموت من يد 50 واحد كانو يضربوه من امام مشفى النور وسيعترف بذلك امام الكاميرا

3. انا سلمته باليد لمفرزة الجويه بجبله

ترقبو الفيديو انا والعسكري بوجود مراسل الاخباريه السوريه

وللعلم من بدأ بإثارة هذه الفتنه معروف وهو ابن مسؤول انبعص مني لاني تكفلت باني استطيع ايقاف الفتنه بجبله واخذتها عهد على عاتقي واقسمت بذلك وكان الامر وهذا ما اذهله».

وسوى منشورات الفيسبوك ظهر البودي، متحدياً من أذاعوا خبر اعتقاله، في مواكب تشييع بعض ضحايا التفجيرات، كما كان يفعل دوماً مع كلّ قتيلٍ لجيش الأسد من قريته البودي أو من القرى المجاورة. وزيادةً في إثبات إخلاصه وولائه أعلن أن الفرن الذي افتتحه في القرية سيوزّع الخبز مجاناً لذوي الشهداء لمدّة يومين.

قبل الثورة كان البودي في واردٍ آخر، فقد بدأ رحلته أوائل التسعينات مع مكبّر صوتٍ ضخم، استعمله لإقامة حفلاتٍ واستعراضاتٍ في قريته لزجالين ومغنّين ومهرّجين ولاعبي خفة، قبل أن يتطوّر الأمر إلى مهرجانٍ سنويٍّ لاقى شهرةً واسعةً في الساحل. وتكيفاً مع الظروف التي أضرّت بمهنته بعد الثورة ابتكر البودي عملاً جديداً هو مرافقة مواكب قتلى جيش النظام بسيارته، مسخراً أجهزة صوت ملهى «الصياد» الذي يملكه في إلقاء كلمات رثاءٍ حماسيةٍ عن «الشهيد»، تتخللها أقوالٌ لحافظ الأسد، وأبيات شعرٍ شعبيّ، ومواويل حزينة أحياناً. وعندما يكون القتيل ذا شأنٍ أو برتبةٍ عاليةٍ يحرص البودي أن يصوّر لقاءً خاطفاً مع واحدٍ من عائلته.

ورغم اتخاذه لقب «قائد الدفاع الوطني في ريف جبلة»، وحمله البنادق والمسدسات، لا يبدو الرجل شرساً أو شريراً كما ينبغي، بل مجرّد عابثٍ طموح يحاول اغتنام كلّ فرصةٍ لتحقيق المزيد من الظهور، مثلما فعلَ بترشحه لعضوية مجلس الشعب، قبل أن ينسحب اعتراضاً على مؤامرةٍ مزعومةٍ حيكت ضده. مؤامرةٌ يقول البودي إنها مستمرّةٌ ولا تقتصر عليه، كما يحذّر على صفحته:

«انتبهو هناك حملة على كل وطني من الطائفة من كبيرها إن كان الأستاذ رامي مخلوف إلى صغيرها ولو كنت أنا»!

مجلّة عين المدينة نصف شهرية سياسيّة متنوعة مُستقلة

عضو الشبكة السورية للإعلام المطبوع

3ayn-almadina.com
info@3ayn-almadina.com

@3aynAlmadina
/3aynAlmadina

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

متحف معرّة النعمان

المكتبة ما زالت موجودة

أكياس الرمل تحمي لوحات الفسيفساء

عدسة حليم كاوا- خاص عين